

نساء في المحراب

رحلة في سير نساء السلف الصالحات

تأليف
مجدي فتحي السيد

دار الصحابة للتراث بطنطا


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نساء في المحراب

رحلة في سير نساء السلف الصالحات

تأليف

مجدي فتحي السيد



كِتَابٌ قَدْ حَوَى دُرَرًا بِعَيْنِ الحُسْنِ مَلْحُوظَة
لِهَذَا قُلْتُ تَنْبِيهًا

الطبعة الأولى

١٩٩٠ م - ١٤١١ هـ

دَارُ الصَّحَابَةِ لِلتُّرَاثِ بِطَنْطَا
للنشر - والتحقيق - والتوزيع
شارع المديرية - أمام محطة بنزين التعاون
ت: ٣٣١٥٨٧ ص.ب ٤٧٧

تقديـــم

بســم الله الرحمــن الرحيــم

الحمد لله...

نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله -صلى الله عليه وآله وسلم-.

قال عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ**﴾(*).

﴿**يَا أَيُّهَا الناس اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً، واتَّقُواْ اللهَ الَّذِى تسآءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ، إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾(**).

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ، وَيَغْفِرْ لَكُم ذُنُوبَكُمْ، وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**﴾(***).

وبعد.. فهذه صفحات أسأل الله أن ينفعنى بما فيها، وينفع جميع المسلمين.

(*) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

(**) سورة النساء: آية ١.

(***) سورة الأحزاب: آية ٧٠، ٧١.

بين يــدى الكتــاب

الحمد لله رب العالمين..

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

أختى المسلمة...

كرم الإسلامُ المرأةَ وليدةً، وناشئةً، وزوجةً، وأُمّاً.

أما تكريمه لها وليدة فلقد حرَّم وأد البنات، وعظم وزر من يفعل تلك الجريمة الكبرى، فقال عز وجل:

﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بُشر به أيُمسكه على هُونٍ أم يدسُّه فى التراب ألا ساء ما يحكمون﴾[1].

وقال عز شأنه: **﴿وإذا الموءودة سئِلت بأى ذنب قُتلت﴾**[2].

وكرمها الإسلام ناشئة، فحرم ربنا تبارك وتعالى، ورسوله -ﷺ- تفضيل الذكور على الإناث فى الحنان، والعطايا.

وأمر الإسلام بُحسن التأديب لهن، واختيار أسماء لهن حسنة.

أما تكريم الإسلام للمرأة زوجة، فأمر ربنا -تبارك وتعالى- بإحسان العشرة، والتغاضى عن أخطائها، والتجاوز عن هفواتها، كل ذلك محافظة على كيان الأسرة.

وكرم الإسلام المرأة فى دور الأمومة بأن جعل الجنة تحت قدميها فبرضاها عن ولدها يفوز بالجنة، أما سخطها فمجلبة لهلاكه.

---

(١) سورة النحل: ٥٨-٥٩.

(٢) سورة التكوير: ٨-٩.

وهكذا نرى أن الإسلام قد بلغ فى تكريم المرأة ما لم يكن من قبل.

ولكى تحافظ المرأة المسلمة على هذا التكريم لابُدّ لها من القيام بالعبودية لله تعالى.

فالمرأة التى تعرف حقها على زوجها، وحقها عند أولادها، وحقوقها عند الآخرين، لا ينبغى لها أن تنسى حق الله تعالى عليها. وهذا الحق هو العبودية لله.

أن تقومى بتأدية فرائضه، وتبتعدى عن مناهيه، وتشكريه آناء الليل وأطراف النهار لعله أن يرضى عنك.

وفى هذا الكتاب نرى كيف كان جيل نساء السلف الصالحات يقمن بتلك العبودية على أكمل الأحوال.

و «نساء السلف» يعنى زوجات الصحب الكرام، والتابعين الأبرار، وكل امرأة عاشت على عقيدة، وفقه، وسلوك السلف الصالحين.

والمرأة إذا سارت فى طريق «نساء السلف الصالحات» فهى آمنة فى اعتقادها لأنها لا تعتقد إلا ما اعتقده الرسول -ﷺ- وأصحابه -رضى الله عنهم- أجمعين.

وإذا عملت المرأة بفقه نساء السلف الصالحات فهى آمنة فى حياتها، لأنها لا تعمل إلا بدليلٍ من كتاب الله تعالى، أو سنة نبيه -ﷺ-.

وإذا اتخذت لنفسها سلوك نساء السلف شعاراً فهى آمنة فى سلوكها، لأنها تقتدى بمن مَنَّ الله تعالى عليه بالرضى والقبول.

ولنا وقفة مع عنوان كتابنا هذا: «نساءٌ فى المحراب» «نساءٌ» هن الصحابيات، والتابعيات، ومن سار على إثرهن.

«فى المحراب» يعنى كن عابدات، باكيات، منيبات، تائبات، مصليات، صائمات، واعظات.

ففى هذا الكتاب نرى تحقيق نساء السلف لمعنى العبودية لله تعالى.

وسترين أختى المسلمة فى هذا الكتاب العابدات من شتى بقاع أرض المعمورة، وستقرئين كلماتهن الطيبة، وستعرفين كيف أن وقوفهن فى محرابهن فى بيوتهن كان السبب الأساسى فى صلاحهن.

فالمرأة اليوم صارت لا تعرف إلا السهر أمام اللهو والعبث، أمَّا نساء السلف فلم يعرفن سوى الوقوف فى محرابهن يسألن الله أن يرضى عنهن.

والمرأة اليوم لا تنظر فى أوقاتها الضائعة عبثاً وسدى، أما نساء السلف فلم يكن لديهن الوقت الذى يضيع، لأنهن يبادرن انتهاء عمرهن بالمسارعة إلى محرابهن.

ولقد تعلم نساء السلف من الوقوف فى محرابهن: الصدق، والحياء، والإيثار، والخشوع، والخضوع، والإخلاص، والخوف من الله، والصبر، والرضى بقضاء الله وقدره، والقناعة، والكفاف. لذا فكل مسلمة اليوم فى حاجة لتتعرف على سير نساء السلف الصالحات لكى تزداد قرباً من ربها، وتزداد عملاً ليوم معادها وأملى أن ينفع الله بهذا الكتاب جميع المسلمات، والحمد لله أولاً وآخراً.

أبو مريم / مجدى فتحى السيد
طنطا – مصر

الباب الأول

ويشتمل على كلٍ من :

١ – الصديقة بنت الصديق .

٢ – الصوامة القوامة .

٣ – العابدة التقية .

٤ – الباكية الأواهة .

٥ – بائعة الدنيا .

٦ – المنيبة إلى ربها .

الصديقة بنت الصديق

هى عائشة بنت أبى بكر الصديق، العابدة القانتة، زوجة الرسول -ﷺ- فى الدنيا والآخرة.

كانت -رضى الله عنها- تصوم يوماً وتفطر يوماً، وتكثر من التهجد ليلاً.

يقول القاسم بن محمد -رحمه الله-:
كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة -وهى خالته- أسلم عليها.

فغدوت يوماً فإذا هى قائمة تسبح وتقرأ: ﴿**فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم**﴾[1]، وتدعو وتبكى وترددها، فقمت حتى مللت القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتى، ثم رجعت فإذا هى قائمة كما هى، تصلى وتبكى.

فتأملى أختى المسلمة فى عبادة أم المؤمنين، وصبرها على الوقوف فى محرابها، وتفكرها فى آيات ربها.

لقد كانت أم المؤمنين -رضى الله عنها- مع كثرة عبادتها: فقيهة، ومحدثة، وعالمة بأيام العرب، وأشعارها.

● يقول أبو موسى الأشعرى -رضى الله عنه-: ما أشكل علينا -أصحاب رسول الله -ﷺ- حديث قط، فسألنا عائشة عنه إلا وجدنا عندها منه علماً.

●● ويقول الزبير بن العوام -رضى الله عنه-: ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآنِ، ولا بفريضةٍ، ولا بحلالٍ، ولا بحرامٍ، ولا بشعرٍ، ولا بحديث العرب، ولا بنسبٍ من عائشة -رضى الله عنها-.

●●● ويقول الزهرى -رحمه الله-: لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبى -ﷺ-، وجميع النساء كان علم عائشة -رضى الله عنها- أكبر.

---

(١) سورة الطور: ٢٧.

أختى المسلمة ...

لكن كل هذا الثناء، وذلك التقريظ لم يزد أم المؤمنين إلا خشوعاً فى صلاتها، وخشية من ربها تبارك وتعالى.

أما أنت فتعلمين مدى تقصيرك فى طاعة ربك. ومع ذلك تظنين أنك خيرٌ من أخواتك المؤمنات، وتعجبين بعملك، وتغترين عليهن بقولك.

فلتكن أم المؤمنين العابدة هى رمز التواضع لديك.

ولتكن أم المؤمنين الفقيهة هى رمز حب العلم لديك.

ولتكن أم المؤمنين المحدثة هى رمز الدعوة إلى الله لديك.

ولقد أثرت العبادة فى أم المؤمنين تأثيراً شديداً، حتى كانت تنسى نفسها من أجل غيرها.

أم ذرة جارية عند عائشة، تساعدها فى أحوالها، تحكى لنا القصة التالية:

بعث إلى عائشة –رضى الله عنها– ابن الزبير ثمانين ومائة ألف درهم، وهى يومئذ صائمة، فجلست تقسمه بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم واحد.

فلما جاء موعد الإفطار، قالت: ياجارية هلمى فطرى، فجاءتها بخبز وزيت، فقلت لها: ياأم المؤمنين، أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشترى لنا بدرهم لحماً نفطر عليه؟

فقالت: لا تعنفينى، لو كنت ذكرتينى لفعلت.

فتأملى أختى المسلمة كيف أنها، وهى الصائمة تنسى نفسها، ولو بدرهم واحدٍ، وما ذاك إلا لأجل تذكرها الفقراء والمساكين، والأرامل والمحتاجين، ومحبتها لإدخال السرور على قلوبهم.

هكذا كانت أم المؤمنين، زاهدة، عابدة، عالمة، تقية.

فهل تذكرين هذا المثال الرائع؟

هل تتأسين بأمك فى إيثارها ؟
هل تقتدين بأمك فى عبادتها وفضلها ؟
هل تقدمين على فعل الخيرات كما أقدمت هى ؟
هذا ما أسأل المولى إياه .

لهذا الفضل الذى سمعت به ، وشاهدتيه مدحها الرسول - ﷺ - فى الخبر التالى :

عن عروة بن الزبير قال : كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، قالت عائشة : فاجتمع صواحبى إلى أم سلمة فقلن : ياأم سلمة ، والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة ، فمُرى رسول الله - ﷺ - : أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث ما كان ، أو حيث ما دار .

قالت : فذكرت ذلك أم سلمة للنبى - ﷺ - ، قالت : فأعرض عنى ، فلما عاد إلىَّ ذكرت له ذلك ، فأعرض عنى ، فلما كان فى الثالثة ذكرت له فقال : « **يا أم سلمة لا تؤذينى فى عائشة ، فإنه والله ما نزل على الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها** »[1] .

وللعابدة التقية عائشة الصديقة الكثير من الكلمات الزاجرة عن المعاصى ، والمرشدة إلى الخيرات .

لقد كانت تؤمن بأن خير الأعمال التى يقوم بها العباد هى تركهم للمعاصى ، فتقول - رضى الله عنها - :

« من سرَّه أن يسبق الدائب المجتهد فليكف نفسه عن كثرة الذنوب ، فإنكم لن تلقوا الله بشىءٍ خير لكم من قلة الذنوب » .

ومن أهم المبادىء التى عاشت عليها أم المؤمنين العابدة التواضع ، لقد كان التواضع واضحاً فى كلامها ، وفعلها ، وثيابها ، وطعامها ، وسائر شئونها .

---

(١) البخارى (٥/٣٧) ، والترمذى (٣٩٦٦) ، والنسائى (٧/٦٨) .

تقول أم المؤمنين –رضى الله عنها–: « إنكم لتغفلون عن أفضل العبادة: التواضع».

وظلت أم المؤمنين فى محرابها تناجى ربها، حتى توفيت سنة ٥٧ هـ، وأوصت أن تُدفن فى البقيع مع صواحباتها، وصلى عليها أمير المدينة، وهو أبو هريرة –رضى الله عنه–.

الصـوامة القوامـة

إنها العابدة التقية زينب بنت جحش –رضى الله عنها–، أمها أميمة بنت عبدالمطلب، عمة الرسول –ﷺ–.

كانت لربها خاشعة، وبرزقه راضية، أواهة داعية.

تصفها أم المؤمنين عائشة فتقول –رضى الله عنها–:

« كانت زينب بنت جحش زوج النبى –ﷺ– تساوينى من بين أزواج النبى –ﷺ– فى المنزلة عند رسول الله –ﷺ–، ولم أر امرأة قط خيراً فى الدين، وأتقى لله عز وجل، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد بذلاً لنفسها فى كل شيءٍ يُتقرب به إلى الله تعالى من زينب».

وكما تعلمت عائشة –رضى الله عنها– من عبادتها المعانى السامية، هكذا كان حال زينب –رضى الله عنها–.

اسمعى –أختى المسلمة– الخبر التالى:

تقول برزة بنت رافع: لما جاء العطاءُ بعث عمر إلى زينب بنت جحش بالذى لها، فلما دخل عليها قالت: غفر الله لعمر، لغيرى من أخواتى كان أقوى على قسم هذا منى.

قالوا: هذا كله لك.

قالت: سبحان الله، واستترت دونه بثوبٍ وقالت: صبّوه، واطرحوا عليه ثوباً.

فصبوه، وطرحوا عليه ثوباً، فقالت لى: أدخلى يدك، فاقبضى منه قبضةً، فاذهبى إلى آل فلانٍ، وآل فلانٍ من أيتامها، وذوى رحمها، فقسّمته حتي بقيت منه بقية، فقالت لها برزة: غفر الله لك، والله لقد كان لنا فى هذا حظ.

قالت: فلكم ما تحت الثوب.

قالت: فرفعت الثوب فوجدنا خمسةً وثمانين درهماً، ثم رفعت يديها، فقالت: اللهم لا يدركنى عطاءٌ لعمر بعد عامى هذا.

فكانت أول نساء النبى - ﷺ - لحوقاً به.

فتأملى أختى المسلمة فى بذلها، وعطائها، وعفتها، إن كل ذلك من آثار عبادتها لربها، وصدقها فى محرابها.

ونكمل المسير مع نساء السلف الصالحات.

العابدة التقية

أختى المسلمة...
أن تسعى المرأة لتتعلم أمر دينها أمرٌ طيب يُحمد لها.

ولكن أن تطلب المرأة من ولدها التفرغ لطلب العلم، وهى تكفيه شأن طعامه وشرابه، فهذا مثلٌ رائعٌ فى عطاء المرأة.

هذه «أم سفيان الثورى» رحمها الله تعالى.

امرأةٌ عابدةٌ، مات زوجها، وتركها تربى ولدها، فحفظت الأمانة، وأدت الرسالة.

لقد كانت عابدة تقية عندما قالت لولدها:

«يا بنى اطلب العلم، وأنا أكفيك بمغزلى».

إنها ستتحمل التعب والمعاناة من أجل أن يتعلم ولدها، ولم يكن حينئذٍ سوى العلم الشرعى «الكتاب الكريم، والسنة النبوية».

أى أنها لا تفكر فى حصول ابنها على شهادةٍ لأنه لم يكن هناك شهادات.

ولا تفكر فى حصول ابنها على منصبٍ وجاهٍ، لأن هذا لم يكن آنذاك.

فكانت تغزل طوال نهارها لتجمع من المال ما يطعمها وولدها، ويبقى منه ما يعين ولدها على شراء الورق، والأقلام لتدوين ما يتعلمه.

وبعد انتهاء يومها مع الغزل تقوم فى آخر ليلها وتقف فى محرابها فى بيتها تعبد ربها، وتطلب منه فى هذا الوقت -الذى لا ترد فيه سائلة، ولا تحرم طالبة- العون والمدد لمواصلة جهادها فى تربية ولدها.

وهكذا كانت أم سفيان الثورى عابدة بالنهار وهى تغزل، وعابدة بالليل فى محرابها وهى تصلى.

وفى كل يومٍ تتوقف أم سفيان مع ولدها، وتسأله عما استفاد من علمٍ، وعما تعلمه من أدبٍ، وفى كل ذلك لا تضن هى عليه بتوجيه النصح، والإرشاد.

وفى ذات يوم وجدت أم سفيان أن ابنها يتكاسل، ويخبو فى تصرفاته نور العلم، فتقول له -رحمها الله- كلمات حفظها لنا التاريخ:

« يابنى إذا كتبت عشرة أحرف، فانظر هل ترى لنفسك زيادة فى مشيك، وحلمك، ووقارك ».

إن أم سفيان التى كانت تقف فى محرابها، وتمسك بمغزلها من أروع الأمثلة الناضجة، التى فهمت معنى العبادة، وقامت بها.

أختى المسلمة .

وقبل أن نفارق العابدة التقية أذكرك أن جزاء الإحسان هو الإحسان. فتمر الأيام والأيام، ويصير ابن أم سفيان له شأنٌ يُحسد عليه.

فكان سفيان الثورى الذى يتعلم عن طريق مغزل أم سفيان هو: الفقيه، العابد، الحجة، الحافظ، الإمام، شيخ الإسلام.

فرحم الله أم سفيان الثورى، ورحم ابنها رحمة واسعة.

وسلامٌ على العابدات فى العالمين .
وهلمى معى نكمل المسير مع نساء السلف الصالحات .

الباكيـة الأواهـة

كانت تبكى فى ليلها على ذنوب النهار ، وتبكى فى نهارها على تقصيرها فى ليلها .

إنها العابدة الباكية والصالحة الأواهة أم الحسن بن صالح .

كانت –رحمها الله– تقوم فى ثلث الليل الأخير ، وتتوضأ ، وتقف فى محرابها فى بيتها لتناجى ربها ، وتسأله العفو والعافية .

لقد اشتهرت أم الحسن بين ابنها الحسن وعلى ابنى صالح بأنها تقوم ثلث الليل عبادة وتهجداً .

حقاً إن أم الحسن حجة على النساء المسلمات فى يومنا ، اللواتى لا يعرفن إلا السهر أمام التلفاز ، أو غير ذلك من وسائل اللهو .

وتمضى الشهور تلو الشهور ، وأم الحسن فى عبادة ربها ، حتى وافتها المنية ، وصعدت روحها إلى بارئها .

ولكن أراد الله أمراً فكان ، إن الله تعالى بقدرته أحب أن يعلم أولادها جزاء أمهم ، ولكن كيف كان ذلك ؟

فى ليلة نامها ابنها الحسن ، وهو فى حزنٍ لوفاة أمه ، لا لأنها كانت تُعد له طعامه ، وشرابه ، وثيابه ، بل لأنها كانت تنشطه لعبادة الرحمن ، وتُبعد عنه الكسل والفتور بكلماتها التى تحفزه لقيام الليل رأى الحسن بن صالح أمه فى منامها ، وسألها عن حالها : أماه ما فعل الله تعالى بك؟

أجابت بصوتها المعهود فى صلاتها ، أجابت ونبرات صوتها يتخللها فرح الفوز ، وأنين السعادة :
« بُدّلت بطول ذلك البكاء سُرور الأبد » .

وأنت أختى المسلمة ألا تريدين الفوز بسرور الأبد ؟

حتماً أنت تبحثين عن سرور الأبد، ولكن هل علمت أنه يتطلب منك التهجد والعبادة فى محرابك، ويتطلب البكاء على ذنوبك أظن أن أم الحسن مثالٌ واضح على ما أردت.

وسلامٌ على الباكيات فى العالمين.

وهلمى معى نكمل المسمر مع نساء السلف الصالحين.

بائعــة الدنيــا

امرأة من الصالحات، وعابدةٌ من العابدات.

إنها أخت الفضيل بن عبدالوهاب.

كانت من العابدات بالليل، والصائمات بالنهار، والذاكرات الله كثيراً، سراً وعلانية.

وفى يوم من أيام عمرها، سألها أخوها الفضيل عن أحب الأمور إلى قلبها، فكان التهجد فى ليلها.

وذات مرة أخرى أحب أخوها أن يعلم ما هو السبب الذى يعينها على عبادة ربها، فقالت رحمها الله:

« الآخرة أقرب من الدنيا، وذلك أن الرجل يهم بطلب الدنيا فلعله أن ينشىء لذلك سفراً، يكون فيه تعبُ بدنه، وإنفاق ماله، ثم لعله أن لا ينال بغيته.

والرجل يطلب الآخرة فمنتهى طلبته فى حُسن نيته حيث ما كان، من غير أن ينشىء سفراً، أو ينفق مالاً، أو يتعب بدناً، ما هو إلا أن يُجمع على طاعة الله، فإذا هو قد أدرك ما عند الله».

اختى المسلمة ...

كم تعيشين فى الدنيا ؟

مائة سنة ، أو أكثر ، أو أقل من ذلك ، ولكن انظرى إلى أعمالك ، أنت تعملين للدنيا ، وكأنك ستخلدين فيها ، وما ذلك إلا لعدم شوقك إلى الوصول إلى الآخرة .

فاعملى للدنيا بقدر بقائك فيها ، وقدمى للآخرة بقدر علمك بأنها إما سرور الأبد ، أو شقاء الأبد .

وبين سرور الأبد ، أو شقائه خروج الروح .

ها هى أخت الفضيل العابدة التى باعت دنياها من أجل الفوز بآخرتها ، تعلل سبب بيعها فتقول رحمها الله :

« ما بيننا وبين أن نرى السرور ، أو ننادى بالويل والثبور إلا خروج هذه الأرواح من الأبدان ، فانظروا أى عبيد تكونون حينئذ ؟ » .

هيا أختى المسلمة اجتهدى فى عبادة ربك ، واتركى الكسل والخمول ، فإن أخت الفضيل سبقتك فى ركب العابدات .

المنيبــة إلى ربهــا

أختى المسلمة ...

أن تعصى المرأة ربها قد يُبرر بأنها غير معصومة ، ولكن ما الشأن إذا أحبت المرأة المعصية ، وأرادت انتشارها ، وسعت فى ذلك ؟

أمر قومٌ امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للعابد الزاهد الربيع بن خثيم لعلها أن تفتنه فينحرف عن طريق ربه ، وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم .

وخدع المرأة قولهم ، وضحك عليها هواها فسارت لمعصية ربها .

لبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب ، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه ، وتعرضت للربيع وهو عائدٌ من مسجده إلى بيته .

ووقف الربيع ليعرف شأنها، فأحس بغدرها ومكرها، فأراد أن يعظها لعلها أن تهتدى، فقال لها رحمه الله:

ياأمة الله، كيف بك لو قد نزلت الحمَّى بجسمك، فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك ؟

ولم يدع الربيع لها فرصة للحديث فأعقب سؤاله بقوله لها:

ياأمة الله ، كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت من رب العالمين، فقطع منك حبل الوتين ؟

ياأمة الله، كيف بك لو قد ساءلك مُنكر ونكير فى قبرك ؟
فأخذت المرأة تبكى، ثم ولت منصرفة، وهى باكية.

ومن يومها، وتتوب المرأة إلى ربها من قبح فعلها، وتعاهده السير على الاستقامة، فكانت تتعبد فى محرابها، وكلما ذكرت معصيتها غلبها البكاءُ حتى يرحمها أهلها.

ولم تفارق الدنيا حتى عُرفت بشدة العبادة، والصبر على ليالى الشتاء الطويلة الباردة، وتحمل نهار الصيف بصيامها.
يقول سعدان رحمه الله:
« والله لقد أفاقت، وبلغت من عبادة ربها أنها كانت يوم ماتت كأنها جذعٌ محترق ».

• تأملى أختى المسلمة كأنها جذعٌ محترقٌ من البكاء على الذنوب الماضية.

وأنت أليس لك ذنوب تبكين من أجلها ؟

أختى المسلمة...
ألست صاحبة الخطايا، فأين دموعك الجارية ؟
أختى المسلمة...
ألست أسيرة المعاصى، فأين البكاء على الذنوب الماضية ؟

أختى المسلمة..

هل نسيت ذنوبك، وصحفك للمُنْسَى حاوية ؟!

إن العابدة المنيبة تذكرك بسرعة العودة، وكثرة الندم والتوبة فهيا كونى من المنيبات، واحذرى أن تنامى وأنت من الغافلات.

الباب الثانى

ويشتمل على كل من :

١ – المتفكرة فى كتاب ربها .
٢ – المخلصة العابدة .
٣ – أول ذائقة للموت .
٤ – المعاتبة لنفسها .
٥ – العابدة الواعظة .
٦ – العابدة الناصحة .
٧ – الباكية حتى الموت .

المتفكرة فى كتاب ربها

من العبادات العظيمة: قيام الليل والتفكر فى قراءة القرآن حيث أسرار الرحمن المبثوثة فى كلامه العزيز.

وكانت عابدتنا المتفكرة فى كتاب ربها تقوم ليلها، وتقرأ فى تؤدةٍ وطمأنينة، وتفكر طويلٍ، حتى أنها تقضى ليلها فى آيات معدودة.

وذات مرة يدخل عليها أحد ولدها، ويقص عليها شأنه مع القرآن.

يقول ابنها: دخلت عليها، وأنا أقرأ سورة هود، فقالت لى: ياعبدالرحمن هكذا تقرأ سورة هود ؟!

وكأنها تسأله لم تقرأها هذرمة سريعاً سريعاً، وكأن غرضك، وشهوتك الانتهاء من الصفحات.

ثم تكمل حديثها لابنها: يابنى، والله إنى لفيها منذ ستة أشهر ما فرغت من قراءتها.

أختى المسلمة...
أين أنت من القرآن الكريم ؟ إنه حجة لك أو عليك، فأيهما حالك ؟
هلمى استيقظى من هجرك للقرآن، وقومى واقرئى فيه بتفكرٍ.

إن المرأة المتفكرة تذكرنا بقول التابعى الجليل محمد بن كعب القرظى رحمه الله:

« لأن أقرأ فى ليلتى حتى أصبح سورة « الزلزلة » و « القارعة » لا أزيد عليهما، وأتردد فيهما، وأتفكر، أحب إلَىَّ من أن أهذ[1] القرآن ليلتى هذّاً، أو أنثره نثراً »[2].

---

(١) الهذ: القراءة السريعة.

(٢) أخرجه ابن المبارك فى الزهد (٢٨٧)، وأبو نعيم فى الحلية (٣/٢١٤).

أختى المسلمة...

هيا جددى العهد مع ربك، فإن العمر قصيرٌ، والطريق إلى الآخرة طويلٌ، ويهوّن عليك الطويل إحسانك فى القصير.

هلمى جددى العهد مع الصالحات العابدات، وابتعدى عن الطالحات الغافلات.

يالها من لذةٍ وسرورٍ، قراءة القرآن فى الصلاة بتفكر وحضور.

المخلصة العابدة

كانت امرأة من قبيلة تيم مجتهدة فى طاعة الرحمن، فتكثر من الصيام، وقراءة القرآن، حتى صارت لا تعرف سوى بيتها، والمسجد الذى تصلى فيه فرضها.

وبمرور الوقت انتشرت سيرتها الطيبة عن عبادتها العظيمة.

أتى إليها التابعى الجليل إبراهيم التيمى، وقال لها - خوفاً عليها من الفتنة، وتحذيراً لها من الوقوع أسيرة الرياء:

« يا أمة الله، صلاتك فى بيتك أفضل من صلاتك فى مسجد الحى » لم تنازع فى الأمر، بل لزمت بيتها، وازدادت عبادة لربها.

وهكذا -دائماً- العابدات المخلصات لا يعرفن سوى الإخلاص لله تبارك وتعالى، ولا يقمن بعملٍ رجاء حمد الناس، وعلى أملٍ بالفوز بثنائهم.

فرحم الله المخلصة العابدة، التى تعطى نساء اليوم درساً فى العمل لله وحده، رجاء الفوز برحمته، ودخول جنته وهلمى أختى المسلمة نكمل المسير مع نساء فى المحراب.

أول ذائقة للموت

امرأةٌ من نساء سلفنا الصالحين من أهل الكوفة، اشتهرت بمواصلة الطاعة طوال عمرها، وشدة تحملها طول الصلاة وحدها.

ومع هذه العبادة العظيمة لم يعرف الغرور طريقاً إلى قلبها، ولم يتسرب العجب بالنفس إلى نفسها، بل كانت رحمها الله تهضم نفسها، وتمقت حالها.

وفى يومٍ قال لها بعض أهلها: لو أرحت نفسك قليلا؟

فقالت رحمها الله على الفور: « لو نادى منادٍ من السماء لِيَمُتْ أعظم الناس جُرماً، لرأيت أن نفسى أول ذائقة للموت ».

وتستمر فى عبادتها فى محرابها حتى كانت آخر كلماتها: « طول الأمل بطَّأَ بى عن سبيل النجاة ».

فيالها من عظمة بليغة لمن عرف الغرور قلوبهن وهن عاصيات، قد سخط ربهن عليهن.

ويالها من تذكرة عظيمة لمن تسرب الغرور إلى نفوسهن، وعرفن الإعجاب بالنفس ببعض قشور علم الدنيا.

المعاتبة نفسها

من عابدات الكوفة، حسنت سيرتها، وذاع صيتها بأنها من اللواتى لا ينمن من الليل إلا قليلا.

وذات يومٍ عاتبها أحد أقاربها على كثرة صلاتها، وعدم التخفيف على نفسها، فقالت رحمها الله:
« كفى بالموت، وطول الرقدة فى القبور للمؤمنين رُقاداً ».

وكأنها – رحمها الله – تقول لنساء اليوم اللواتى لا يعرفن لذة كلذة الرقاد: إن النوم فى القبور طويلٌ، والوقوف أمام ربك أطول، والخلود فى جنةٍ أو نارٍ أبد الآباد.

وكانت مع قيامها فى ليلها بعبادة ربها تصوم أياماً تطوعاً فى نهارها.

وذات يوم كانت صائمة، واشتد الحر، حتى أسود لونها، وطال عطشها، فقال لها بنوها: هلا أفطرت يومك هذا، وتنعمت بالرى من العطش ؟

فقالت –رحمها الله– فى ثبات المؤمنات : إنما أبحث على طول الرىّ، والشبع فى الآخرة ».

وكانت إذا اجتمع عندها بعض جاراتها، وأردن إضاعة وقتها، تقول لهن فى نُصح وإرشادٍ :

« قمن لنعبد ربنا، فالحديث هناك يَطيب –يعنى فى الجنة– فى دارٍ لا همّ فيها، ولا موت، ولا تعب ».

فرحم الله المعاتبة نفسها، التى حاولت بقصارى جهدها عدم إضاعة وقتها فى غير طاعة ربها.

ونكمل المسير سوياً مع « نساء فى المحراب ».

العابــدة الواعظــة

امرأةٌ من أهل البادية عكفت فى محرابها تعبد ربها تبارك وتعالى.

وذات يومٍ عزم واحدٌ من أبنائها على السفر، فأوصته قائلة له :
« يا بنى، أوصيك بتقوى الله، فإن قليلها أجدى عليك من كثير عقلك، وإياك والنمائم، فإنها تزرع الضغائن، وتفرِّقُ بين المحبين، ومَثِّلْ لنفسك ما تَستحْسِنُه من غيرك مثالاً، ثم اتخذه إماماً.

واعلم أن من جمع بين الحياء والسخاء فقد استجاد الحُلة إزارها ورداءها ».

أختى المسلمة ...

تأملى فى تلك الوصية التى صدرت من أمٍ شفيقة على ولدها، واعتبرى أنك أنت المخاطبة بتلك الكلمات الطيبة، فإن فيها لو عملت بها سعادتك الدنيوية والأخروية.

فرحم الله عابدة البادية التى ما ضنت على ولدها بنصائح غالية.
ونكمل المسير مع العابدات.

العابـدة الناصـحة

من عابدات بغداد التى اشتهرن بالحكمة، والمسارعة فى الخيرات.

وقفت ذات يوم على امرأةٍ عاصيةٍ فقالت لها ناصحة :

« إن أردت الله بطاعةٍ أرادك الله برحمة، وإن سلكت سبيل المعرضين، فلا تلومى إلا نفسك، إذا صرت غداً فى زمرة الخاسرين ».

وذات مرة أخذت تنصح بنيها بقولها :

« ويحك يابنى، احذر بطالات[1] الليل والنهار، فتنقضى مهلات الأعمار، وأنت غير ناظرٍ لنفسك، ولا مستعد لسفرك ».

« ويحك يابنى، ما من الجنة عِوَضٌ، ولا فى ركوب المعاصى ثمنٌ من حلول النار ».

« ويحك يابنى، مهد لنفسك[2] قبل أن يحال بينك وبين ذلك، وجِدّ قبل أن يجدّ الأمر بك، واحذر سطوات الدهر، وكيد الملعون عند هجوم الدنيا بالفتن، وتقلبها بالعبر، فعند ذلك يهمّ التقى كيف ينجو من مصائبها».

ثم قالت فى خاتمة نصحها :

« بؤساً لك يابنى، إن عصيت الله وقد عرفته، وعرفت إحسانه، وأطعت إبليس وقد عرفته، وعرفت طغيانه ».

وأنت أختى المسلمة إلى متى تعصين الله الذى خلقك، ورزقك، وآواك ؟!

وإلى متى تطيعين إبليس الملعون، الذى أخرجك من الجنة وأنت فى صُلب أبيك، وحاربك فى الأرض، وشغلك عن ربك ؟!

---

(١) البطالات : بكسر الباء جمع بطالة، أى التعطل والتفرغ من العمل.

(٢) مهد لنفسه : كسب وعمل.

إن العابدة الناصحة هى رمز للوقوف مع النفس ، ومحاسبتها على تقصيرها .

وهى رمزٌ لقبول الخير ورفض الشر .

فرحم الله العابدة الناصحة ، وأدخلها فسيح جناته .

الباكيـة حتى المـوت

إنها امرأةٌ من نساء المحراب ، عرفت طريق ربها فأحبته ، ورأت أن النور فى سيرها لمرضاة ربها فعملت للوصول إلى ذلك .

أختى المسلمة ...

أن تبكى المرأة على فقد مالها ، أو زوجها ، أو ولدها ، أو أحدٍ من أهلها من الأمور التى اعتادت عليها النساء فى عصرنا .

ولكن أقبلى معي نسمع حكاية الباكية حتى الموت ، خوفاً من غضب ربها ، ورجاء رحمته ، وشوقاً إلى لقائه .

يقول سعيد بن جبير رحمه الله :

« ما رأيت أرعى لحرمة هذا البيت ، ولا أحرص عليه من أهل البصرة ، ولقد رأيت جارية منهم ذات ليلة تعلقت بأستار الكعبة ، فجعلت تدعو ، وتبكى ، وتتضرع حتى ماتت » .

سبحان ربى العظيم ، البكاء حتى الموت حسرة وندامة على ما ضاع من العمر فى غير طاعة ، حسرة وندامة على ذنوب الليل ، وآثام النهار ، حسرة وندامة على البيات تحت سخط الله وغضبه .

الباب الثالث

ويشتمل على كل من :

١ - أم إبراهيم العابدة .
٢ - أم أيمن بنت على .
٣ - أم حيان الأواهة .
٤ - أم الدرداء الصغرى .
٥ - أم طلق الزاهدة .
٦ - أم عثمان العابدة .
٧ - أم نهار العدوية .
٨ - امرأة رياح القيسى .

أم إبراهيـــم العابـــدة

واحدةٌ من نساء السلف الصالح، عكفت على طاعة ربها، وعُرفت بأنها عابدة متفكرة، وبثواب ربها راضية.

كانت -رحمها الله تعالى- تؤمن بأن البلاء الذى ينزل بالمؤمنة فى دنياها، إنما يكفر به سيئاتها.

أتاها قومٌ يعزونها، فى أمرٍ جللٍ نزل بها، فقالت بإيمانها:
« لولا مصائب الدنيا وردنا الآخرة مفاليس ».

أختى المسلمة...

حتماً سوف تتعرضين فى حياتك الدنيوية إلى البلاء، الذى قد يكون فى نفسك، أو فى مالك، أو فى ولدك، أو فى زوجك، أو فى غير ذلك.

وهنا يظهر مقدار إيمانك، هل ستصبرين أم تسخطين ؟

ولقد بشر الرسول -ﷺ- إحدى النسوة بما لها من أجرٍ جزيل، وثوابٍ عظيم بصبرها على البلاء.

تقول أم العلاء -رضى الله عنها-: عادنى رسول الله -ﷺ- وأنا مريضةٌ، فقال: « أبشرى ياأم العلاء، فإن مرض المسلم يُذهب الله به من خطاياه، كما تُذهب النار خبث الذهب والفضة »[1].

أما أم إبراهيم -رحمها الله- فقد أدركت هذا المعنى النبوى، وعبرت عنه بقولها: « لولا المصائب » أى لولا نزول البلاء بنا، وتحملنا إياه، « وردنا الآخرة مفاليس » لا حسنة لنا، ولا ثواب.

---

(١) صحيح. أخرجه أبو داود (٣٠٩٢)، وانظرى شرح الحديث فى كتابى « ٥٠ وصية من وصايا الرسول -ﷺ- للنساء » طُبع بمكتبة القرآن.

فرحم الله تعالى العابدة التقية، أم إبراهيم، وأنزل على قبرها سحائب الرحمة والمغفرة.

أم أيمن بنت على

عابدةٌ من عابدات مصر، اسمها عزيزة، وزوجها هو أبو على الروذبارى أحد الزاهدين فى وقته.

كانت تتعبد فى محرابها، وتناجى ربها فى دعائها بقولها:

كيف لا أرغب فى تحصيل ما عندك وإليك مرجعى ؟!

وكيف لا أُحبّك وما لقيتُ خيراً إلا منك ؟!

وكيف لا أشتاق إليك وقد شوقتنى إليك ؟!

وكانت أم أيمن العابدة تعظ أبناءها، والنساء اللواتى يأتين عندها بقولها:

« لا ينتفع العبد بشىءٍ من أفعاله كما ينتفع بطلب قُوتهِ من حلال ».

أختى المسلمة...

لا نستطيع أن نترك العابدة أم أيمن، إلا وقد تعلمنا منها الدروس التالية:

١ – أن المسلمة تسعى فى إعداد زادها لأنها لابُدّ يوماً ملاقية ربها.

٢ – أن المسلمة فى كل يوم تزداد حباً، وإقبالاً على ربها.

٣ – أن المؤمنة تتحرى من أين كان مطعمها ؟

أم حيان السَــلَمية

كانت تقف فى محرابها، تناجى ربها فى فكاك رقبتها، وتبكى بدموع سخية، رجاء أن تغفر لها ذنوبها.

وانتشرت عبادة أم حيان بين قريناتها من بنات جنسها، وتناقلن أخبارها حتى وصل الرجال خبرها.

يقول أبو خلدة رحمه الله:

« ما رأيت رجلاً قط، ولا امرأة أقوى، ولا أصبر على طول القيام من أم حيان السلمية».

أختى المسلمة...

هذا الثناء على أم حيان هو عاجل بشرى المؤمنة فى الدنيا، ولها فى الآخرة أعظم مما سمعت بأذنها، أو خطر على قلبها، أو رأت بعينها، وهذا بفضل الرحمن ومنّه عليها.

ويصف البعض قوة صبرها على طاعة ربها، فيقول:
« إنْ كانت لتقوم فى محرابها، كأنها نخلةٌ تصفقها الرياح يميناً وشمالاً ».

أختى المسلمة...

الحياة عندهن كانت قاسية من بردٍ، وحرارةٍ، وقلة زادٍ وغير ذلك، ومع ذلك ما فرطن فى طاعة الرحمن شيئاً.

وأنت بين جنبات حجرتك الدافئة الوثيرة، تأكلين ما تحبين، وتشربين ما تريدين، ومع ذلك أنت عند الله من المقصرات، إن لم يكن حالك التفريط.

كل ذلك بسبب الغفلة، وكثرة الذنوب على قلبك.

ذِكر الحساب أطار عن أعين المتقيات النعاس، وأنت لا تتذكرين لقلة الفكر فى يوم القيامة.

فيا من صحيفتها من الطاعات خاوية، وبكبار الذنوب حاوية، هلمى فى ركاب الصالحات سيرى، وإلا فإن الهاوية مصير كل غاوية.

رحم الله أم حيان السلمية، وجعلها من أهل جنة عالية.

وسلامٌ على الزاهدات فى العالمين.

أم الدرداء الصغرى

هى العابدة هُجَيمة بنت حُيَىّ الوصابية زوجة أبى الدرداء الصحابى الجليل.

كانت –رحمها الله– تُكثر من الصلاة، وتدريس العلم، والتفكر فى آلاء الرحمن.

يقول ميمون بن مهران –رحمه الله– : «وما دخلت على أُم الدرداء فى ساعة صلاةٍ إلا وجدتها مصلية».

وكانت مجموعة من النسوة يحضرن عند أم الدرداء، ويقمن الليل مصليات، حتى إن أقدامهن قد انتفخت من طول القيام.

جاء إلى العابدة أم الدرداء شيخٌ يقال له: هِزّان، فأخذ يستمع مع غيره لما تتحدث به أم الدرداء من أحاديث النبى –ﷺ–.

ولكن قال لها هزان مسائلاً: يا أم الدرداء ما يقول الميت على سريره؟

فقالت العابدة أم الدرداء: إنه يقول: يا أهلاه، ويا جيراناه ويا حملة سريراه، لا تغرّنّكُم الدنيا كما غَرّتْنى، ولا تَلْعَبن بكم الدنيا كما لعبت بى، فإنّ أهلى لا يحملون عنّى من وزرى شيئاً».

كانت العابدة أم الدرداء تحذر النساء العابدات اللواتى يجئن لزيارتها، وذات يوم قالت لهن:

«الدنيا أسحر شىء لقلوب العابدين، وما آثرها عبدٌ قَطُّ إلا جعلته ذليلاً».

وظلت أم الدرداء تقضى نهارها فى مجالسٍ تدرس فيها، وأخرى تذكر ربها فيها، وفى ليلها تقف فى محرابها تناجى ربها.

وذات مرة سُئلت –رحمها الله– ألا تملين من جلوسك طويلاً فى ذكرك لربك؟

فقالت : طلبت العبادة بكل شيءٍ ، فما وجدتُ أشفى لصدرى ، ولا أحرى أن أُدرك منه ما أريد من مجالس الذكر .

وكما عاشت عابدة متواضعة ، ماتت عابدة متواضعة .

ومن صور تواضعها : أنه قيل لها من غيرها : ادعى لنا : فقالت على الفور : أو بلغتُ أنا ذلك ؟

فرحم الله أم الدرداء رحمة واسعة .

ومع نساء المحراب نكمل المسير .

أم طلـق البصـرية

عابدةٌ من شهيرات العابدات ، بلغت فى الطاعة حداً عظيماً ، حتى ذكر بعض أهلها أنها كانت تصلى فى كل يومٍ وليلة أربعمائة ركعة ، وتقرأ من القرآن ما شاء الله .

كانت أم طلق متجردة لله فى طاعتها ، تخاف الرياء ، والعجب على نفسها ، ويبدو ذلك واضحاً فى الخبر التالى :

قال سفيان بن عيينة رحمه الله : قالت أم طلق لابنها :

« ياطلق ، ما أحسن صوتك بالقرآن ، فليته لا يكون عليك وبالاً يوم القيامة » يعنى من أثر حب السمعة والرياء .

يقول ابن عيينة : فبكى طلقٌ حتى غُشى عليه .

ولقد استطاعت أم طلق تأديب نفسها وزجرها ، حتى كانت تقول : « ما ملكت نفسى ما تشتهى منذ جعل الله لى عليها سلطاناً » .

أختى المسلمة ...

انظرى إلى حالك ، وتأملى فى نفسك تجدين أنها قد تغلبت على أحوالك ، وأنك كلما أحببت شهوة سارعت فى القيام بها .

انظرى إلى أثر نفسك عليك، وأنها تجعل عملك بالنفاق مغشوشاً، وأنك إذا هممت بالمعاصى تنسيك يوم النعوش.

أختى المسلمة...

لو رأيت العاصية وقد شقيت، ويوم القيامة اشتد عطشها وما سُقيت لعلمت أن البلاء من نفسك لا من غيرك.

ولقد حددت أم طلق نهجها فى حياتها، وذكرت طريقها بقولها:
« النفس مَلِكٌ إن اتبعتها، ومملوك إن أتعبتها ».

فالمرأة إن سيطرت على نفسها، وتحكمت فى أهوائها، فنفسها مملوكة تعمل بأمرها.

وأما إذا فرطت فى تحكمها فى نفسها، وتركت النفس لأهوائها، فياويلها، وياحسرة عليها.

فرحم الله أم طلق العابدة، وسلامٌ على العابدات فى العالمين والحمد لله رب العالمين.

أم عثمان العابدة

هى أم عثمان بن سودة الطفاوى، قالوا عنها من شدة عبادتها فى محرابها: الراهبة.

كانت تقف فى محرابها بعد نوم أولادها تناجى ربها، وتأخذ زاداً يعاونها على متاعب حياتها.

ومرت الأيامُ تلو الأيام حتى جاء يوم احتضارها، وجلست على سرير الموت، وسمعها ابنها عثمان فى آخر أنفاسها تناجى ربها وتقول، والبكاء يغلب كلماتها:

« يا من عليه اعتمادى فى حياتى، وبعد مماتى، لا تَخْذُلنى عند الموت، ولا تُوحشنى فى قبرى ».

حتى فاضت روحها وهى تتمتم بقولها، ولكن لم ينسها ربها عز وجل، فيرى ابنها فى منامه رؤية طيبة، يقول عثمان الطفاوى عن تلك الرؤية ما يلى:

لما ماتت أمى، كنت آتيها فى قبرها وأدعو لها، وأستغفر لها، ولأهل القبور.

قال: فرأيتها ذات ليلة فى منامى فقلت لها: ياأماه كيف أنت؟

قالت: أى بُنى، إن للموت لكُربةً شديدةً، وأنا بحمد الله لفى برزخ محمودٍ، نفترش فيه الريحان، ونتوسد فيه السندس والإستبرق إلى يوم النشور.

فقلت: ألك حاجة؟

قالت: نعم، لا تدع ما أنت عليه من زيارتى والدعاء لى، فإنى لأُبشَّر بمجيئك إذا أقبلت، يقال لى: ياراهبة هذا ابنك، قد أقبل من أهله زائراً لك، فأُسر بذلك، ويُسَر بذلك من حوْلى من الأموات.

أختى المسلمة...

انظرى، وتأملى فى جزاء أم عثمان فى برزخها ألا ترجين مثل هذا؟

إن إجابتك واضحة كوضوح الشمس فى منتصف النهار، بأنك تريدين بكل جارحة من جوارحك، وبكل ما بك من أنفاسٍ مثل ذلك، ولكن أليس لتلك الأمنية من عمل؟!

أم عثمان –رحمها الله– عملت فوجدت، وأنت لا تعملين وتريدين!!

أختى المسلمة...

جاهدى نفسك حتى تتغلبى على شهواتها، تمسكى بزمامها، يرض عنك الرحمن، وهنالك سوف تفوزين بالجنان، وإلا فقد خسرت الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، نعوذ بالله من الخذلان الكبير، ونكمل المسير مع نساء السلف الصالحات.

أم نهـار العدويـة

عابدةٌ أخرى من عابدات البوادى، عُرفت بشدة الاجتهاد، وكانت تعظ نساء قومها، وأحياناً يسمع وعظها الرجال.

ومن مواعظها ما قالته عند ذكر الموت والقبور:

« تأملوا أهل هذه العرصات الخُرْس، والربوع الصُّموت، وارجعوها صوراً بوَهْمِكم يتنسمون روح الحياة، فنادُوهم يسمعوا، واسألوهم يُخبّروا، فاحيُوا بموتهم، وتيقظوا لغفلاتهم، وخذوا خوفكم من أمنهم، وحذركم من غُرورهم، وانظروا بهم إلى أثر البلى فى أجسامكم، والخراب فى مساكنكم، وكيف حكم فيهم التراب، إذ ولى الحكم فيهم، فأبدلهم بالنطق خرساً، وبالسمع صَمَماً، وبالحركات سكوناً.

رحم الله امرءاً أبصر فتدبر، واتعظ فاعتبر، وعمل ليوم الحساب، وخشى وقت العقاب ».

فرحم الله العابدة الواعظة، أم نهار العدوية، وأمطر قبرها بسحائب رحمته، ومغفرته.

امـرأة ريـاح القيسـى

تزوج رياح القيسى، وهو من العُبَّاد الزهاد، من امرأة فبنى بها، فلما أصبح قامت إلى عجينها، فقال رياحٌ لها: لو نظرتِ إلى امرأةٍ تكفيك هذا ؟

فقالت: إنما تزوجت رياحًا القيسى، ولم أرنى تزوجت جباراً عنيداً.

فلما كان الليل تعمد رياحٌ القيسى أن يُظهر النوم ليختبرها، فقامت ربع الليل ثم نادته فقالت: قم يا رياح، فقال: أقوم، ثم قالت: قم يا رياح، فقال: أقوم فلم يقم، فقامت هى الربع الثانى من الليل، ثم قالت: قم يا رياح. فقال: أقوم.

فمضت فى صلاتها، ولم يقم رياحٌ فى ليلته تلك حتى قالت هى: مضى الليل، وأنت نائمٌ، ليت شعرى، من غرّنى بك يارياح.

وفى الصباح أعلمها أنه أراد اختبارها، وقد وفقها الله. وظلت زوجة رياح القيسى مواظبة على طاعة ربها، والسعى فى فعل ما يرضى زوجها، فطاب لها العيش مع زوجها، وطابت له الحياة معها.

يقول رياح القيسى عنها:

كانت إذا صلت العشاء الآخرة تطيبت، وتبخرت، ولبست ثيابها، ثم تأتينى، فتقول: ألك حاجة؟ فإن قلت: نعم، كانت معى، وإن قلت: لا، قامت فنزعت ثيابها، ثم صفّت بين قدميها حتى تصبح.

قال رياحٌ القيسى: ففحمتنى والله.

أختى المسلمة...

هلا أخذت أسوة من زوجة القيسى رحمها الله؟

أسأل الله العظيم أن يعينك على الوصول إلى ذلك.

الباب الرابع

ويشتمل على كل من :

١ – أمية بنت المورع .
٢ – بردة الصريمية .
٣ – جارية خالد الوراق .
٤ – جوهرة البراثية .
٥ – حبيبة العدوية .
٦ – حسنة العابدة
٧ – حفصة بنت سيرين .
٨ – رابعة العدوية .
٩ – زجلة مولاة معاوية .

أمية بنت أبى المورع

عابدةٌ من عابدات الموصل ، عُرفت بشدة الخوف من ربها ، وكثرة بكائها فى محرابها .

كانت إذا ذكرت النار قالت : أُدخلوا النارَ ، وأكلوا من النار ، وشربوا من النار ، وعاشوا فى النار ، ثم تبكى .

وعاشت وهى تبكى خوفاً من ربها ، وماتت وهى باكية شوقاً إلى لقاء ربها .

أختى المسلمة ...

تعلمى من العابدة أمية الخوف من النيران ، فإنها عظةٌ لمن أرادت العظة ، وكفى بذكر النار تذكرة .

أختى المسلمة ...

لا أجد ما أقوله لك عند الحديث عن النار إلا عظة محمد بن كعب القرظى عندما قال رحمه الله :

لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله فى أربعٍ ، فإذا كان فى الخامسة لا يتكلمون بعدها أبداً .

يقولون : ﴿ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ﴾(١) .

قال : فيجيبهم الله تعالى : ﴿ ذلكم بأنه إذا دُعِىَ الله وحده كفرتم ، وإن يُشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير ﴾(٢) .

---

(١) سورة غافر : ١١ .

(٢) سورة غافر : ١٢ .

ثم يقولون: ﴿ ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون ﴾[3].

فيجيبهم الله تعالى: ﴿ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم، وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ﴾[4].

ثم يقولون: ﴿ ربنا أخرنا إلى أجلٍ قريبٍ نُجبْ دعوتك ونتبع الرسل ﴾[5].

فيجيبهم الله تعالى: ﴿ أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ﴾[6].

ثم يقولون: ﴿ ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غيرَ الذى كنا نعمل ﴾[7].

فيجيبهم الله تعالى: ﴿ أو لم نُعَمِّرْكم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير، فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾[8].

ثم يقولون: ﴿ ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ﴾[9].

فيجيبهم الله تعالى: ﴿ اخسئوا فيها ولا تُكَلِّمون ﴾[10].

فلا يتكلمون بعدها أبداً.

---

(٣) سورةالسجدة: ١٢.

(٤) سورة السجدة: ١٤.

(٥) سورة إبراهيم: ٤٤.

(٦) سورة إبراهيم: ٤٤.

(٧) سورة فاطر: ٣٧.

(٨) سورة فاطر: ٣٧.

(٩) سورة المؤمنون: ١٠٦.

(١٠) سورة المؤمنون: ١٠٨.

بـردة الصـريمية

من العابدات المصطفيات فى بصرى العراق .

كانت –رحمها الله– إذا قيل لها : كيف أصبحت ؟ تقول :
« أصبحنا أضيافاً مُنتجعين[1] بأرض غُربةٍ ننتظر إجابة الداعى » .

إنها أصبحت فى الدنيا غريبة ، لأنها لم تخلق للدنيا الفانية ، وإنما خُلقت للآخرة الباقية .

إنها أصبحت تنتظر من يدعوها للقاء ربها ، فهى فى انتظار ملك الموت من رب العالمين .

وكانت تُكثر من البكاء من خشية الرحمن حتى خشى عليها أن تعطب إحدى عينيها من كثرة البكاء فقال لها بعض أهلها : يا بردة إن لبصرك عليك حقا .

فقالت بردة الصريمية رحمه الله : « إن أكن من أهل الجنة فسيبدلنى الله بصراً خيراً من بصرى ، وإن أكن من أهل النار ، فأبعد الله بصرى » .

وكانت تقوم تصلى فى ليلها ، وتجلس تسبح ربها ، وتبكى على ذنوبها ، وهى فى محرابها حتى وافتها المنية ، وهى على الطاعة مقيمة ، وللمعصية تاركة .

فرحم الله تعالى بردة الصريمية ، وأدخلها فسيح جناته .

ومع نساء السلف الصالحات نكمل المسير .

---

(١) النُّجْعةُ عند العرب : المذهب فى طلب الكلأ فى موضعه ، فيقال : هؤلاء قوم ناجعةٌ ومنتجعون ، وفى المثل : من أجدب انتجع .

جاريــة خالــد الــوراق

عابدةٌ من العابدات، وزاهدة من الزاهدات.

يقول خالد الوراق: كانت لى جارية شديدة الاجتهاد فدخلت عليها يوماً فأخبرتها برفق الله وقبوله يسير العمل. فبكت، ثم قالت:

يا خالد، إنى لأؤمل من الله تعالى آمالاً لو حملتها الجبال لأشفقت من حملها كما ضعفت عن حمل الأمانة، وإنى لأعلم أن فى كرم الله مستغاثاً لكل مذنب، ولكن كيف لى بحسرة السباق ؟

قال: قلت: وما حسرة السباق ؟

قالت: غداة الحشر، إذا بُعثر ما فى القبور، وركب الأبرار نجائب الأعمال فاستبقوا إلى الصراط، والله، لا يسبق مقصرٌ مجتهداً أبداً، ولو حبا المجد حبواً.

أم كيف لى بموت الحزن والكمد، إذا رأيت القوم يتراكضون وقد رُفعت أعلام المحسنين، وجاز الصراط المشتاقون، ووصل إلى الله المحبون، وخُلِّفتُ مع المسيئين المذنبين ؟!

ثم بكت وقالت:

يا خالد، انظر لا يقطعك قاطعٌ عن سرعة المبادرة بالأعمال، فإنه ليس بين الدارين دارٌ يُدرك فيها الخُدّام ما فاتهم من الخدمة.

فويلٌ لمن قصر عن خدمة سيده ومعه الآمال، فهلا كانت الأعمال توقظه إذا نام البطالون ؟!

أختى المسلمة...

رحم الله نساء السلف الصالحات لقد اتصفن بخشية وإنابة من الله، وإلى الله، حتى صرن لا يعرفن إلا العمل له وحده عز شأنه.

تأملى فى كلمات جارية خالد الوراق تجدى مالا يحتاج إلى إيضاح وبيان، عظة بليغة لمن أرادت العظة، وتذكرة لمن أرادت التذكرة.

وهلمى معى نكمل المسير مع نساء السلف الصالحات.

جوهـرة البراثـية

عابدةٌ عاشت مع زوجها أبى عبدالله البراثى يتعبدان، ويذكران الرحمن تبارك وتعالى، وبراثا بلدة فى طرف بغداد.

كانت جوهرة فى بدء شأنها جارية لبعض الملوك، فعتقت، فلزمت العبادة، وزهدت فى الدنيا حتى لقيها أبو عبدالله فتزوجها لما سمعه عن صلاحها.

وذات يومٍ قالت جوهرةٌ العابدة لزوجها: ياأبا عبدالله، النساء فى الجنة يحلين إذا دخلنها؟ قال أبو عبدالله: نعم.

قال: فأخذت تبكى، وتئن، فلما سكتت قلت: ما هذا الذى أصابك؟

قالت: ذكرتُ حالى تلك، وما كنتُ قد نلتُ من الدنيا، فخشيتُ والله حرمان الآخرة.

كانت جوهرة أحياناً تتكاسل عن قيام الليل حتى كانت تلك الرؤية التى منعتها من ترك قيام الليل.

يقول أبو عبدالله البراثى رحمه الله:

رأت جوهرةٌ فى منامها خياماً مضروبة، فقالت: لمن ضُربت هذه الخيام؟ فقيل: للمتهجدين بالقرآن، فكانت بعد ذلك لا تنام.

لقد كانت جوهرة –رحمها الله– تنبه أبا عبدالله البراثى من الليل، وهو نائمٌ، وتقول له: ياأبا عبدالله، قد سارت القافلة.

أختى المسلمة...

بين يديك يومٌ لا شك فيه، يقع فيه الفراق، فتدبرى حالك قبل مجيء يومٍ تشيب فيه الأطفال، فى يومٍ تسير فيه الجبال، وتنطق فيه الجوارح بما كان.

يقول ابن الجوزى رحمه الله:

إلى الله تُبْ قبل انقضاءِ من العُمْر ... أخى ولا تأمن مُسَاورة الدهرِ
فقد حدثتك الحادثات نزولها ... ونادَتْك إلا أن سمعك ذو وقر
تنوح وتبكى للأحبة إن مضوا ... ونفسك لا تبكى وأنت على الإثر

وسلامٌ على العابدات فى العالمين.

حبيبة العدوية

من عابدات البصرة اللواتى أحببن مناجاة ربهن، وتلذذن بذكره.

كانت إذا قامت لتصلى فى ليلها تناجى ربها بقولها:

« إلهى، غارت النجوم، ونامت العيون، وغَلَّقت الملوك أبوابها، وبابك مفتوح؛ وهذا مقامى بين يديك».

ومرت بتلك العابدة الأيام والليالى، حتى وقفت ذات ليلة فى محرابها، وناجت ربها فقالت:

« اللهم هذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعرى هل قبلتَ منى ليلتى فأُهَنَّى أم رددتها علىَّ فأعزى ؟!».

وظلت على الدأب فى العبادة حتى وافتها المنية، وهى على عهد ربها وافية.

حسنة العابدة

ذات حسن وجمال، فى غير معصية للرحمن، مقبلة على صلاتها وصيامها، هذا ما ذكره الناس فى وصفها.

يقول محمد بن قدامة فى كلمات معدودات فى ذكر شأنها :

بلغنا أن امرأة كان يقال لها حسنة تركت نعيم الدنيا ، وأقبلت على العبادة ، فكانت تصوم النهار ، وتحيى الليل.

أختى المسلمة...

إن حسنة العابدة لم تحرم على نفسها متع الدنيا ، ولكنها أحست أن تلك النعم فانية ، فأحبت التعلق بالنعم الباقية ، وهذا يظهر واضحاً فى الموقف التالى ، الذى دار بينها وبين امرأة من نساء قومها.

قالت لها امرأةٌ: تزوجى.

فقالت : هاتِ رجلاً زاهداً ، يبكى ويُبكينى ، ويصوم ويأمرنى ، ويتصدق ويحضُّنى عليه ، فبها ونعمت.

فرحم الله حسنة المحبة لآخرتها ، القائمة على شأنها ، الزاهدة فى دنياها.

حفصة بنت سيرين

عُرفت بين أقاربها بالصلاح والاستقامة ، حتى طارت شهرتها فى العبادة بين أهل البصرة.

واظبت على العبادة سنين طوال فأتعبت من بعدها من النساء.

يقول مهدى بن ميمون رحمه الله :

« مكثت حفصة فى مصلَّاها ثلاثين سنة لا تخرج إلا لحاجة » وكانت إذا زارها أقاربها من الشباب تقول لهم :

« يا معشر الشباب ، خذوا من أنفسكم وأنتم شباب ، فإنى ما رأيت العمل إلا فى الشباب ».

فيا أختى المسلمة هل اتعظت بكلام العابدة حفصة ؟

هل تنتظرين أن يأتيك ملك الموت وما تبت ؟

أما تنتظرين بغتة المرض وما قدمت ؟

تذكرى أن دقات قلبك قائلةٌ لك إن الحياة دقائق وثوان ، فهلمى اجتهدى فى الطاعة .

ومع عابدات البصرة نكمل المسير .

رابعــة العدويــة

عابدةٌ من عابدات البصرة لها شهرة فى العبادة فاقت كل مقدار ، فنسج الناس حولها الأساطير ، ونسبوا لها الكثير من الكلام .

يصفها شيخ الإسلام الإمام الذهبى رحمه الله :
« البصرية ، الزاهدة ، العابدة ، الخاشعة ، أم عمرو » .

وتحكى عبدة بنت أبى شوَّال ، وهى رفيقة لها بعض حالها فتقول :
كانت رابعة تُصلى الليل كله ، فإذا طلع الفجر ، هجعت هجعة خفيفة .

وكنت أسمعها تقول لنفسها :
« يا نفس ، كم تنامين ؟! ، وإلى كم تقومين ؟! يوشك أن تنامى نومةً لا تقومين منها إلا يوم النشور » .

وكانت كثيرة البكاء عند قراءة القرآن ، وذكر صفة النيران .

قالت لها بعض الجالسات معها : ادعى لنا ، فقالت : ومن أنا حتى أدعو لغيرى ، ادعين الله ، فإنه يجيب المضطرات .

وسئلت –رحمها الله– هل عملت عملاً ترين أنه يقبل منك ؟
قالت : إن كان فمخافتى أن يرد علىَّ عملى .

ومن كلامها : محب الله لا يسكن أنينه وحنينه ، حتى يسكن مع محبوبه .

وذات يوم طلب منها سفيان الثورى النصيحة ، فقالت له :

« إنما أنت أيامٌ معدودة ، فإذا ذهب يومٌ ذهب بعضُك ، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكلّ ، وأنت تعلم فاعمل » .

وظل هذا دأبها دهرها حتى حضرتها المنية ، فنادت على عبدة بنت أبى شوال ، وقالت لها :

ياعبدة ، لا تؤذنى بموتى أحداً ، وكفنينى فى جُبَّتى هذه ، وهى التى كانت تقوم وتصلى فيها .

تقول عبدة رحمها الله تعالى : رأيتها بعد وفاتها بسنةٍ أو نحوها فى منامها عليها حلة إستبرقٍ ، وخمارٌ من سُنْدسٍ أخضرٍ لم أر شيئاً قط أحسن منه .

فقلت : يارابعة ، ما فعلتْ الجبَّةُ التى كفنَّاك فيها ، والخمار الصوف ؟

قالت : إنه والله نُزع عنى ، وأُبدِلتُ به هذا الذى ترينه علىَّ ، وطويت أكفانى ، وخُتم عليها ، ورُفعتْ فى عِلِّيين ليكمل لى بها ثوابها يوم القيامة .

قالت : فقلت لها : لهذا كنت تعملين أيام الدنيا ؟

فقالت : وما هذا من كرامة الله عز وجل لأوليائه !!

قالت : فقلت : فما فعلت عبدة بنت أبى كلاب ؟

فقالت : هيهات ، هيهات ، سبقتنا والله إلى الدرجات العُلَى .

قالت : قلت : وبم ، وقد كنتِ عند الناس ؟ أى أكثر منها .

قالت : إنها لم تكن تبالى على أى حالةٍ أصبحت من الدنيا وأمست .

قالت : قلت : مُرِينى بأمرٍ أتقرب به إلى الله عز وجل .

قالت : عليكِ بكثرة ذكره ، أوشك أن تغتبطى بذلك فى قبرك .

وتظل رابعة العدوية رمزاً من رموز العبودية لله عز وجل . فرحمها الله رحمة واسعة ، وأدخلها فسيح جناته وسلامٌ على العابدات فى العالمين .

ونكمل المسير مع نساء السلف الصالحات .

زجلة العابدة مولاة معاوية

قالوا عنها الكثير، فهى عندهم عابدة تقية، قانتة زاهدة، عفيفة إلى غير ذلك من أوصاف نساء السلف الصالحات.

دخل عليها بعض أهلها، وسألوها أن ترفق بنفسها فى عبادة ربها.

فقالت : مالى وللرفق بها، فإنما هي أيام مُبادرة، فمن فاته اليوم شيءٌ لم يدركه غداً، والله ياإخوتاه لأُصلِّينَّ ما أقلَّتنى جوارحى[1]، ولأصومنَّ له[2] أيام حياتى، ولأبكين له ما حملت الماءَ عيناى ثم قالت : « أيكم يأمر عبده فيحب أن يُقصِّر فيه ؟ ».

وعاشت زجلة عابدة، ولقيت ربها عابدة، حتى قال الإمام المحدث سعيد ابن عبدالعزيز رحمه الله :

« ما بالشام، ولا بالعراق أفضل من زجلة ».

فرحم الله زجلة، وأسكنها فسيح جناته، وهو على ما يشاء قدير.

---

(١) أى مادامت أعضائى قادرة على الحمل والتحمل.

(٢) مرادها ربها تبارك وتعالى.

الباب الخامس

ويشتمل على كل من :

١ – عاتكة المخزومية .
٢ – عبيدة بنت أبي كلاب .
٣ – عجردة العمية .
٤ – عجوز بنى عبد القيس .
٥ – عفيرة العابدة .
٦ – عمرة امرأة أبي حبيب .

عاتكة المخزومية

عابدة من أهل البوادى، كانت تسكن مع بنى مخزوم حيث قومها، وعُرفت بينهم بكثرة عبادتها لربها.

وكانت عاتكة – رحمها الله – تبكى كثيراً لما اقترفت من ذنوبٍ فى غفلتها عن ربها تبارك وتعالى فعُوتبت على كثرة بكائها، فقالت:

« ما ينبغى للمُخوَّف بالنار أن تجفَّ له دمعة حتى يُعرف موقعُ الأمان من ذلك ».

أختى المسلمة...

تأملى فى عواقب الذنوب، فإن اللذة تفنى وتبقى عليك العيوب، فاحذرى المعاصى فبئس المطلوب، وبئس العمل.

يقول ابن الجوزى رحمه الله:

ابك من جُرمك خوفاً ... فحقيقٌ بك أن تبكى
كم ركبت الذنب مغرو ... راً وكم أسرعت فى الفتكِ
وتبرَّجْت بعصيانك قد غرك ... إمهالى وتركى
من ترى يسترك اليو ... م إذا عمَّك هتكى
كم تجرَّدْت لعصيا ... نى وكم خالفت نُسْكِى
أتُرَى تجهل عِزِّى ... أم تُرَى تُصْغِر مُلْكى

فهيا أختى المسلمة جددى الإيمان فى قلبك بدوام الذكر لربك، وكثرة التوبة والاستغفار.

عبيدة بنت أبى كلاب

عبدت ربها فى محرابها، وخشيت على نفسها من ذنوبها، حتى قيل لها: ما تشتهين ؟

قالت عبيدة: الموت.

سبحان الله هكذا كانت إجابة عبيدة العابدة ، ألا يعنى ذلك أى نوع من أنواع القنوط ؟

ألا يستدعى ذلك أنها يائسة ، ولا ينبغى أن يكون هذا هو حال العابدات ؟

أختى المسلمة...

لو علمت الذى دعا عبيدة إلى تلك الإجابة لذهبت حيرتك ، فاستمعى إلى إجابتها ، وهى تقول :

« لأنى فى كل يوم أصبح أخشى أن أُجْنى على نفسى جنايةً يكون فيها عَطَبي أيام الآخرة » .

فعبيدة –رحمها الله– إنما تحب الموت خوفاً من الفتنة فى الدين ، وحذراً من الوقوع فى المعاصى والآثام .

وما قالته عبيدة ليس بخطأ كما تبادر إلى ذهنك لأول وهلة .

فإن المؤمن ، أو المؤمنة إذا طلب الموت خوفاً على ذهاب دينه لا حرج عليه ، فهذه مريم عليها السلام تقول :
﴿ ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً ﴾[1] .

فإنها لما كانت عندهم من العابدات القانتات ، المعتكفات للطاعة ، القائمات على بيت المقدس آلمها تلك المشكلة ، وخافت على نفسها من الفضيحة عندما يظن بنو إسرائيل بها السوء فى دينها فيفتنها ذلك .

إنما النهى عن تمنى الموت لعارضٍ دنيوى .

وهذا الصحابى الجليل عمر بن الخطاب –رضى الله عنه– يقول :
« اللهم قد ضعفت قوتى ، وكبرت سنى ، وانتشرت رعيتى ، فاقبضنى إليك غير مضيع ولا مقصر » .

فما جاوز ذلك الشهر حتى قبض –رضى الله عنه– .

(١) سورة مريم : ٢٣ .

ولقد فارقت عُبيدة الدنيا، ورؤى لها بعد موتها ما يبشر بالخير فى آخرتها.

تقول عبدة بنت أبى شوال رحمها الله، وكانت من الصديقات لها : رأيت رابعة فى المنام، فقلت : ما فعلت عبيدة بنت أبى كلاب ؟ فقالت : هيهات سبقتنا والله إلى الدرجات العُلى.

قلت : وبِمَ وقد كنتِ عند الناس ؟ أى أكثر منها.

قالت : إنها لم تكن تُبالى على ما أصبحت من الدنيا أو أمست.

فرحم الله عبيدة، وأدخلها فى جنات النعيم أعلى عليين.

ونكمل المسير مع نساء السلف الصالحات.

عجـردة العميـة

امرأة من النساء اللواتى عرفن الله فأحببنه، وأطعنه، وأحببن لقائه.

كانت – رحمها الله – تقوم وتصلى فى محرابها، وتناجى ربها، ومما حُفظ عنها قولها :

« إلهى، إليك قطع العابدون دُجى الليالى بتكبير الدلج إلى ظُلم الأسحار، يستبقون إلى رحمتك، وفضل مغفرتك، فبك إلهى لا بغيرك أسألك أن تجعلنى فى أول زُمرة السّابقين إليك، وأن ترفعنى إليك فى درجات المقربين، وأن تُلحقنى بعبادك الصالحين، فأنت أكرم الكرماء، وأرحم الرحماء، وأعظم العظماء ».

وهكذا ظل حالها فى كل ليلة من لياليها تلبس ثيابها، وتقف فى محرابها، تناجى ربها.

وذات يوم قال لها بعض أهل دارها : لو نمت بعض الليال ؟ فبكت من فورها، وقالت : ذكرُ الموت لا يدعنى أنام.

وهكذا انتظمت عجردة فى عُقد تضم حباته العابدات ؛ الزاهدات.

عجوز بنى عبدالقيس

كانت عَجُوز من بنى عبدالقيس متعبدة فى محرابها، فكانت إذا جاء الليل قامت إلى وضوئها، ثم وقفت فى محرابها مقبلة بقلبها على ربها.

وفى يومٍ سألها بعض قومها العظة، فقالت :

« عاملوا الله على قدر نعمه عليكم وإحسانه إليكم، فإن لم تُطِيقوا فعلى قَدْرِ ستره، فإن لم تُطيقوا فعلى الحياء منه، فإن لم تُطيقوا فعلى الرجاء لثوابه، فإن لم تطيقوا فعلى خوف عقابه ».

أختى المسلمة...

هل تعرفين عدد نعم الله تعالى التى أعطاكِ إياها ؟
وهل شكرت الله على كل هذه النعم ؟

إن التفكر فى هذين السؤالين سيشعرك بمدى الخطورة التى أنت عليها.

وهل استحييتِ من الله كل الحياء ؟
بالنظر إلى عدد ذنوبك يبدو أنك لا تستحين من ربك إلا قليلاً.

إن كلمات عجوز بنى عبدالقيس أنت أحوج الناس إليها، وهاأنت قد علمت بها فماذا أنت فاعلة ؟

عفيــرة العابــدة

عابدةٌ من عابدات المحاريب كانت لا تجد لذتها إلا فى الوقوف بين يدى ربها تبارك وتعالى، فكانت لا تنام من الليل إلا قليلا.

عاتبها عليه بعضُ أهلها على كثرة قيامها، وقلة نومها، فبكت وقالت :
« ربما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه ».

ثم تعلل عفيرة ذلك بسببٍ لا تستطيع أى امرأة التفلت منه ، تقول رحمها الله تعالى :

« وكيف ينام ، أو كيف يقدر على النوم ، من لا ينام عنه حافظاه ليلاً ولا نهاراً ؟ » .

وظلت تعبد ربها حتى ابتليت ببلاءٍ شديدٍ ، لقد ابتليت بالعمى ، ولكنها مع ذلك ظلت محافظة على طاعة ربها ، حتى كان اليوم الذى قال فيه أحد أقاربها : ما أشد العمى على من كان بصيراً .

فقالت عفيرة بما لديها من إيمانٍ وصلاحٍ : يا عبدالله ، عمى القلب والله عن الله أشدُّ من عمى العين عن الدنيا .

والله وددت أن الله وهب لى كُنْهَ محبته ، وأنه لم تبق منى جارحة إلا أخذها .

وهكذا طويت صفحات تلك العابدة ، فرحمها الله رحمة واسعة .

ونمضى فى ركاب المؤمنات العابدات .

عمرة امرأة أبى حبيب العجمى

صالحةٌ من نساء السلف الصالحات ، أفنت عمرها فى طاعة ربها . كانت تشعر بخطر ذهاب الأيام بغير أعمال صالحة ، يقول زوجها :

انتبهت ليلة وأنا نائمٌ ، فأنبهتنى قبل وقت السحر ، وهى تقول : « قم يارجل ، فقد ذهب الليل ، وجاء النهار ، وبين يديك طريق بعيد ، وزاد قليل ، وقوافل الصالحين قد سارت قُدامنا ، ونحن قد بقينا » .

أختى المسلمة ...

تأملى معى فى كلمات عمرة –رحمها الله–: « ذهب الليل ، وجاء النهار » وكأنها تتحسر على ضياع الوقت ، لأن بضياعه تفقد جزءاً من عمرها .

فهلا انتبهت إلى ضياع أوقاتك سُدى عبثاً ، وأنت لم تخلقى سُدى ولا عبثاً .

وتقول عمرة رحمها الله : « بين يديك طريق بعيد » .

نعم أختى المسلمة أمامك رحلة الحياة بطولها ، أمامك المُكث فى القبر إلى مالا يعلم من السنين ، وأمامك البعث ، والمحشر ، والميزان ، وأمامك الوقوف أمام الرحمن تبارك وتعالى .

حقاً يا عمرة ، إنه طريقٌ بعيدٌ إلى أن يصل الواحد إلى جنة عالية ، وعيشة راضية .

وتقول عمرة : « وزاد قليل » : حسناتك أختى المسلمة تُعد على الأصابع ، وسيئاتك لا تحصى ولا تعد ، فياله من أمر فظيع .

زادك قليل لكثرة نومك .

زادك قليل لكثرة لهوك ولعبك .

زادك قليل لقلة علمك على من تقدمين .

زادك قليل لأنك رغبت فى الدنيا وزهدت فى الآخرة .

أختى المسلمة ...

إنما الليل والنهار مراحل تقطعينها فى دنياك مرحلةً بعد مرحلةٍ حتى ينتهى بك سفرك إلى قبرك حيث عملك ، فإن استطعت أن تقدمى كل يوم زاداً لما بين يديك فافعلى ، فإن انقطاع السفر عن قريب .

اسمعى إلى الإمام ابن الجوزى –رحمه الله– وهو يقول :

ياليت شعرى ما ادخرت ليوم بؤسك وافتقارك
فلتنزلن بمنزلٍ تحتاج فيه إلى ادخارك
أفنيتَ عمرك باغترارك ومُنَاك فيه بانتظارك
ونسيتَ مالابد منه وكان أولى بادّكارك

ولو اعتبرت بمن مضى لكفاكِ علماً باعتبارك
لك ساعةٌ تأتيك من ساعات ليلك أو نهارك
فتصير محتضراً بها فَتَهىَّ من قبل احتضارك
من قبل أن تُقْلَى وتُقْصى ثم تخرج من ديارك
من قبل أن تتشاغل الزوا ر عنك وعن مزارك

وتقول عمرة رحمها الله : « وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا » .

أختى المسلمة ...

تأملى فى أحوال نساء سلفك الصالحات تجدى منهن : الفقيهات ، والمحدثات ، والزاهدات ، والعابدات ، والذاكرات ، والصائمات هن جميعاً – قافلة الصالحات – سبقوك إلى طاعة الرحمن ، ومُتن على ما عشن عليه .

وتأملى فى حال نساء اليوم تجدى منهن : الكذابات ، والمنافقات ، والعابثات ، والفارغات من الأعمال الصالحات .

فانتبهى من غفلتك ، وسيرى فى قوافل الصالحات حتى يدركك الممات ، وأنت فى أحسن الحالات .

فرحم الله العابدة عمرة ، وأسكنها فسيح جناته .

الباب السادس

ويشتمل على كل من :

١ – فاطمة بنت عمران .
٢ – فاطمة النيسابورية .
٣ – لبابة العابدة .
٤ – ماجدة القرشية .
٥ – معاذة العدوية .
٦ – مليكة بنت المنكدر .
٨ – منيفة بنت أبي طارق .
٩ – نفيسة بنت الحسن بن زيد .
٩ – هنيدة العابدة .

فاطمة بنت عمران

عابدةٌ من عابدات دامغان ، وهى بلدة كبيرة بين الرى ونيسابور . كانت كثيرة الاجتهاد ، ويبدو ذلك واضحاً عند قيامها ، ووقوفها بين يدى ربها تبارك وتعالى .

كانت رحمها الله تعالى زاهدة وقتها ، وكانت مستجابة الدعوة ، مقيمة على تعهد الفقراء بالصدقات إلى أن ماتت .

فاطمة النيسابورية

عابدةٌ من عابدات نيسابور ، جاءت إلى مكة ، وعاشت بها .

ولقد حُفظ لنا الكثير من كلمات العابدة النيسابورية ، وهذا بعضها : « الصادق المقرب ، يدعو ربه دعاء الغريق ، يسأل ربه الخلاص ، والنجاة » .

« الزم الصدق وجاهد نفسك فى أفعالك » .

وعاشت فاطمة النيسابورية حتى ماتت بمكة فى طريق العمرة سنة ٢٢٣ هـ.

عائشة بنت سعيد الحيرى

عابدةٌ أخرى من عابدات نيسابور ، كانت زاهدة ورعة ، ومجابة الدعوة .

سمعت ابنتها تتكلم وهى فرحة ببعض ما لديها فقالت لها :

« لا تفرحى بفانٍ ، ولا تجزعى من ذاهبٍ ، وافرحى بالله عز وجل ، واجزعى من سُقوطك من عين الله عز وجل » .

تأملى أختى المسلمة فى كلماتها الطيبة ، وانظرى إلى حالك كيف أنك تتأسفين على ما ضاع من فانٍ ، ولا تتأسفين على ما فاتك من باقٍ ؟!

وكيف أنك تحزنين لضياع مالا يدوم، ولا تحزنين لضياع الباقى ؟!

وكيف أنك تفرحين بمتاعٍ قليلٍ، ولا تفرحين بمُلكٍ يبقى أبد الآباد ؟

ليكن فرحك بثواب الله ورضاه ، وليكن حزنك لتقصيرك فى حق ربك كما قالت عائشة بنت سعيد رحمها الله.

وفى ذات يومٍ جلست عائشة مع بنيها ، وقالت لإحدى بناتها : « الزمى الأدب ظاهراً وباطناً ، فما أساء باطناً إلا عوقب باطناً » .

وكانت عائشة بنت سعيد تحب الخلوة فى محرابها ، فتذكر ربها ، وتصلى له، وتسبحه ، وتستغفره.

فلما سُئلت ذات يوم ألا تستوحش من وحدتها فى محرابها ؟

قالت : « من استوحش من وحدته ، فذاك لقلة أُنسِه بربه.

وعاشت عائشة بنت سعيد الحيرى حتى ماتت سنة ٣٤٦ هـ فرحمها الله رحمة واسعة.

لبابــة العابــدة

من عابدات بيت المقدس، اشتهرت بكثرة تهجدها فى محرابها ، ومحافظتها على صلاة الجماعة فى بيت المقدس فى وقتها.

لعلَّ من أروع كلماتها حديثها عن لذة عبادتها فى محرابها ، تقول : « مازلت مجتهدة فى العبادة حتى صِرتُ أستروح بها، وإذا تعبت من لقاء الخلق آنسنى بذكره، وإذا أعيانى الخلق رَوّحنى التفرغ لعبادة الله عز وجل، والقيامُ إلى خدمته » .

وذات يوم قال واحدٌ من أهلها : أُريد الحج فماذا أدعو به ؟

قالت لبابة العابدة : « سل الله تعالى شيئين : أن يرضى عنك ، ويُبَلِّغك منزل الرّاضين عنه ، وأن يجعل ذكرك فيما بين أوليائه » .

أختى المسلمة...

تعلمى من العابدة لبابة أن أعظم ما فى الدنيا هو أن يرضى الله عنك، فمن رضى الله عنها فقد فازت فوزاً عظيماً.

وتعلمى من العابدة لبابة أن أعظم الجزاء أن يذكر المرء عند ربه بحسن عمله، وعظيم فعله.

ماجـــدة القرشـــية

عابدةٌ أخرى من عابدات البحرين، وهى قرشية الأصل.

كانت -رحمها الله- تحاسب نفسها على لحظات عمرها، وتتعجب من نساء بلدها المضيعات للأوقات عبثاً وسدى.

تقول ماجدة القرشية:

« طوى أملى طلوعُ الشمس وغروبُها، فما من حركةٍ تُسمع، ولا من قدمٍ تُوضع إلا ظننت أن الموت فى أثرها ».

أما كلماتها عن حال الناس سواء كانوا رجالاً أو نساءً، فتقول رحمها الله تعالى:

« سكان دارٍ أُوذنوا بالارتحال، وهم حيارى يركضون فى المُهلة كأن المراد غيرهم، أو التَّأْذِين ليس لهم، والمعنىَّ بالأمر سواهم، آهٍ من عقولٍ ما أنقصها، ومن جهالةٍ ما أتمَّها، بؤساً لأهل المعاصى، ماذا غُرّوا به من الإمهال والاستدراج؟ »

وتقول معللة لحالهم هذا:

« بسطوا آمالهم فأضاعوا أعمالهم، ولو نصبوا الآجال، وطووا الآمال خفَّت عليهم الأعمال ».

أختى المسلمة...

لقد كانت ماجدة القرشية -رحمها الله تعالى- تصلى صلاةً طويلةً فى محرابها، لإيمانها بأن تعب الأبدان فى الدنيا هو راحتها فى الآخرة.

تقول ماجدة القرشية رحمها الله:

« لم ينل المطيعون ما نالوا من حُلول الجنان، ورضا الرحمن إلا بتعب الأبدان لله عز وجل، والقيام لله بحقه فى المنشط والمكره ».

ومن المعالم الأساسية فى حياة العابدة ماجدة القرشية هو اهتمامها بمبدأ الانشغال بالتزود للآخرة.

تقول ماجدة القرشية رحمها الله تعالى:

« كفى المؤمنين والمؤمنات طول اهتمامهم بالمعاد شُغلاً ».

ولقد كانت ماجدة العابدة تعمل الطاعات، وتتنافس فى الباقيات الصالحات رجاء الوصول إلى ثواب الملك الكريم تبارك وتعالى.

ولذا حُفظ عنها قولها:

« لو رأت أعين الزاهدين ثواب ما أعد الله لهم لذابت أنفسهم شوقاً إلى الموت، لينالوا من ذلك ما أملوه من تفضله تعالى ».

فرحم الله ماجدة القرشية، وأسكنها فسيح جناته.

وهلمى أختى المسلمة نكمل المسير مع نساء السلف الصالحات.

معاذة العدوية

من عابدات البصرة اللواتى أحببن طاعة الله، وتشوقن إلى لقائه.

كانت -رحمها الله- إذا أحست من نفسها الكسل فى العبادة، قالت لنفسها: « هذه ليلتى أموت فيها ».

ولما عوتبت على كثرة طاعتها من قِبل أقاربها ، قالت رحمها الله تعالى : « عجبت لعينٍ تنام ، وقد عرفت طول الرقاد فى ظُلَمِ القبور » .

واشتهرت هى وزوجها بكثرة الطاعة للرحمن ، حتى قال أبو السوار العدوى ذات يوم : بنو عدى أشد أهل هذه البلدة - يعنى البصرة - اجتهاداً ، هذا أبو الصهباء لا ينام بليله إلا قليلاً ، ولا يفطر من نهاره إلا قليلاً ، وهذه امرأته معاذة ، وقد عُرف نشاطها .

وكانت فى عبادتها تجمع بين الخوف من ذنوبها ، وشدة بطش ربها ، والرجاء فى سعة رحمة ربها ، وعظيم عفوه .

قالت ذات مرة لإحدى بناتها :

« يا بنية ، كُونى من لقاء الله على حذرٍ ورجاءٍ ، فإنى رأيت الراجى له محقوقاً بحسن الزلفى لديه يوم يلقاه ، ورأيت الخائف له مؤملاً للأمان يوم يقوم الناس لرب العالمين » .

ثم بكت حتى غلبها البكاء .

ولما أكثرت من عبادة ربها أحست بلذة مناجاته تبارك وتعالى ، فكانت فى كل عمل يقابلها تحول مساره إلى عمل أخروى ترجو من خلفه الأجر والثواب .

ففى ذات يوم قاتل ابنها فى غزاةٍ حتى قُتل ، فاجتمعت النساء عند معاذة العدوية لكى يخففن عنها ، ويشاطرنها الحزن ، فقالت لهن : مرحباً ، إن كنتن جئتن لتهنئننى فمرحباً بكن ، وإن كُنتن جئتن لغير ذلك فارجعن .

وهكذا تعلمك -أختى المسلمة- معاذة العدوية أن العابدة لا تجزع عند البلاء ، بل تعده منحة من ربها لا محنة كما تفعل نساء اليوم .

وحتى بعد مفارقة زوجها بوفاته كانت تكثر من عبادتها على أملٍ بلقائه فى جنات الخلد .

تقول أم الأسود بنت زيد ، وكانت معاذة قد أرضعتها قالت لى معاذة لما قتل أبو الصهباء :

« والله يابنية، ما محبتى للبقاء فى الدنيا للذيذ عيشٍ، ولا لروح نسيم، ولكن والله، أحب البقاء لأتقرب إلى ربى عز وجل بالوسائل، لعله يجمع بينى وبين أبى الصهباء وولده فى الجنة».

وها هى معاذة العدوية فى آخر أيام حياتها، وفى آخر أنفاسها ياتُرى ماذا كانت تقول عابدة المحراب فى لحظات حياتها الأخيرة؟

تقول عُفيرة العابدة:

بلغنى أن معاذة العدوية لما احتضرها الموت بكت، ثم ضحكت.

فقيل لها: مم بكيت ثم ضحكت؟ وممَّ البكاء وممَّ الضحك؟

قالت معاذة العدوية: « أما البكاء الذى رأيتم فإنى ذكرت مُفارقة الصيام، والصلاة، والذكر، فكان البكاء لذلك، وأما الذى رأيتم من تبسمى وضحكى، فإنى نظرت إلى أبى الصهباء قد أقبل فى صحن الدار وعليه حُلّتان خضراوان، وهو فى نفرٍ، والله ما رأيت لهم فى الدنيا شَبَهاً، فضحكت إليه، ولا أُرانى أدرك بعد ذلك فرضا».

قالت: فماتت قبل أن يدخل وقتُ الصلاة.

فرحم الله معاذة العدوية، وأدخلها فسيح جناته.

إنه نعم المولى، ونعم النصير.

مليكة بنت المنكدر

عابدةٌ من عابدات المدينة، عُرفت بكثرة صلاتها وصيامها.

قال لها بعضُ أهلها: لو خففت بعض العبادة، فكان جوابها: « دعونى أبادر طى صحيفتى ».

أى اتركونى قبل أن تغلق صحيفتى فلا أستطيع الزيادة فيها.

أختى المسلمة...

تعلمى من مليكة العابدة شدة المحافظة على وقتك، فإنه رأس مالك فى دنياك، وبه تشترى جنة ربك.

فالعاقلة الرشيدة هى من تغتنم صحتها قبل مرضها، وشبابها قبل هرمها، وحياتها قبل موتها، وفراغها قبل شغلها، وغناها قبل فقرها.

أختى المؤمنة...

إن الفرصة إذا لم تغتنميها انقلبت عليك حسرة وندامة.

وقد تتهيأ الأسباب اليوم ولا تتهيأ لك فى الغد.

وما يمكن أن تقومى به اليوم، قد يكون غير ممكن غداً.

فتعلمى من العابدة مليكة المحافظة على وقتك، فهو عمرك الحقيقى.

مُنيفـة بنت أبى طـارق

عابدةٌ من عابدات البحرين، عُرفت بطول بقائها فى محرابها لمناجاة ربها.

يصف بعض أهلها حالها فيقولون:

كانت إذا هجم الليل عليها قالت : بخ بخ يا نفس، قد جاء سرور المؤمن، فتلبس ثيابها، وتقوم إلى محرابها، فكأنها الجذع القائم حتى تصبح.

وفى يومٍ قيل لها: لو جعلت نومتك فى الليل كان أهدأ لبدنك، فقالت : ظلمة الليل تذكرنى بظلمة القبر فكيف المنام؟

وكانت –رحمها الله– متأنية فى عبادتها، متفكرة فى قراءتها.

قال عامر بن مليك البحرانى عن أمه قالت:

بت ليلةً عند منيفة ابنة أبى طارق، فمازادت على هذه الآية من أول الليل إلى آخره ترددها وتبكى:

﴿وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله، ومن يعتصم بالله فقد هُدِىَ إلى صراط مستقيم﴾[1].

وظلت منيفة فى طاعة ربها حتى صعدت روحها إلى بارئها.

ويراها واحدٌ من أهلها فى منامه فيقول لها: يامُنيفة، ما حالُ الناس هناك؟ فتقول: عن أى حالهم تسأل؟ الدار واحدة لأهل الطاعة، يتعالون فيها بالأعمال، ولا تسأل عن حال أهل النار.

قال: فبكيت والله من قولها لا تسأل عن حال أهل النار، ثم ولَّيت، فأتبعتنى صوتاً: يافلان، عليك بالجد والاجتهاد لعلَّك أن تجرى فى مساعى السابقين غداً.

قال: فمرضت والله من هذه الرؤيا شهراً.

فرحم الله منيفة العابدة، وسلامٌ على العابدات فى العالمين.

نفيسة بنت الحسن بن زيد

عابدةٌ من عابدات مكة، عُرفت بالصلاح والزهد، والورع. حفظت القرآن الكريم وتفسيره، وتعلم منها الإمام الشافعى رحمه الله.

وكانت كثيرة البكاء، تديم قيام الليل، وصيام النهار، وحجت ثلاثين حجة.

تقول زينب بنت يحيى المتوج: خدمت عمتى فما رأيتها نامت بالليل، ولا أفطرت بنهارٍ، فقلت لها: أما ترفقين بنفسك؟

فقالت: « كيف أرفق بنفسى وقدامى عقبات لا يقطعها إلا أهل الفوز ».

ووصلت نفيسة بنت الحسن إلى مصر، وكانت ذات مال، وإحسان إلى المرضى، والزمنى، والجذماء.

---

(١) سورة آل عمران: ١٠١.

ولقد تعلمت السيدة نفيسة من عبادتها الخضوع للحق، ورفض الباطل، وبذل النصيحة للخلق أجمعين.

قيل: لما ظلم أحمد بن طولون قبل أن يعدل استغاث الناس من ظلمه، وتوجهوا إلى السيدة نفيسة يشكون إليها.

فقالت لهم: متى يركب؟ قالوا: فى غد فكتبت رقعة ووقفت بها فى طريقه، وقالت: ياأحمد بن طولون، فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه، وأخذ منها الرقعة وقرأها فإذا فيها:

« ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخولتم فعسفتم، وردت إليكم الأرزاق فقطعتم هذا، وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذةٌ غير مخطئة لاسيما من قلوبٍ أوجعتموها، وأكبادٍ جوعتموها، وأجسادٍ عريتموها، فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم، اعملوا ماشئتم، فإنا صابرون وجوروا فإنا بالله مستجيرون، واظلموا فإنا إلى الله متظلمون، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ».

فعدل الحاكم لوقته.

وظلت تصلى، وتبكى، وتدعو ربها حتى احتضرت سنة ٢٠٨ هـ، وكانت صائمة، فألزموها بالفطر، وألحوا، وأبرموا، فقالت: « واعجباً منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه وأنا صائمة أأفطر الآن، هذا لا يكون. ومضت إلى لقاء ربها، فرحمها الله رحمة واسعة.

ونكمل المسير مع سير نساء السلف الصالحات.

هنيـــدة العابـدة

واحدة من عابدات البوادى، عُرفت بمحافظتها على قيام ليلها فى مناجاة ربها.

يقول عامر بن أسلم الباهلى عن أبيه قال: كانت لنا جارية فى الحى يقال لها: هنيدة، فكانت تقوم إذا مضى من الليل ثلثه، أو نصفه فتُوقِظ ولدها، وزوجها، فتقول لهم: قُوموا فتوضأوا وصلوا فَستَغْتَبِطون بكلامى هذا.

فكان هذا دأبها معهم حتى ماتت، فرأى زوجها فى منامه: « إن كنت تحب أن تَزَوَّجَهَا هناك فأَخْلُفْها فى أهلها بمثل فعلها ».

فلم يزل دأب الشيخ حتى مات، فرأى ابنه الأكبر فى منامه فقيل له: « إن كنت تحب أن تُجَاوزَ أبويك فى درجتهما فاخلفهما فى أهلهما بمثل عملهما ».

قال: فلم يزل ذلك دأبه حتى مات، فكانوا يُدْعَون القوّامين.

فرحم الله هنيدة العابدة، وأجزل لها ثوابها.



البـــاب الأخيـــر

ويشتمل على كل من :

١ – عابدات مجهولات الأسماء .

٢ – عابدات فى سطور .

٣ – خاتمة .

٤ – فهرس الموضوعات .

عابداتٌ مجهولات الأسماء

• قالت امرأةٌ من العرب ذات عقلٍ ودينٍ: « سبحانك إلهى، إمهالك المذنبين أطمعهم فى حسن عفوك عنهم، سبحانك إلهى، تفضلاً منك وامتناناً على خلقك من نال رضاك ».

•• ويحكى الأصمعى فيقول: قال أعرابىٌّ: خرجت فى ليلة ظلماء، فإذا أنا بجارية كأنها علمٌ –يقصد كأنها فى جمالها كالمنارة– فأردتُها فقالت: « ويلك، أما لك زاجرٌ من عقلٍ إذا لم يكن لك ناهٍ من دين؟! ».

فقلت: والله ما يرانا إلا الكواكب.

فقالت: فأين مُكَوكِبها ؟!

••• ويحكى محمد بن سلام الجمحى فيقول: سمعت خارجة بن زياد، وهو رجلٌ من بنى سليم يذكر.

قال: هويتُ امرأةً من الحى فكنت أَتْبَعُهَا إذا خرجت إلى المسجد، فعرِفَت ذلك منِّى فقالت لى ذات ليلة: ألك حاجة ؟ قلت: نعم. قالت: وما هى ؟ قلت: مَوَدَّتِكِ. قالت: دَعْ ذلك ليوم التغابن[1].

قال: فأبكتنى والله، فما عدتُ إلى ذلك.

•••• ويقول مالكٌ بن دينار رحمه الله: بينا أنا أطوف بالبيت، إذا أنا بجُوَيْرِيَةٍ متعبدة، فإذا هى تقول: يارب كم شهوةٍ قد ذهبتْ لذّتها، وبقيت تَبِعَتُها، يارب ما كان لك عقوبة إلا النار.

قال: فوالله مازال ذلك مقامها حتى طلع الفجر.

---

(١) التغابن أن يغبن القوم بعضهم بعضاً، ويوم التغابن: يوم البعث وقيل: سُمى بذلك لأن أهل الجنة يَغْبِنُ فيه أهلَ النار، بما يصير إليه أهل الجنة من النعيم، ويلقى فيه أهلُ النار من العذاب الجحيم، ويغبن من ارتفعت منزلته فى الجنة من كان دون منزلته.

قال مالكٌ: فوضعتُ يدى على رأسى، ثم جعلتُ أقول: ثكلت مالكاً أُمّه وعدمته، جُويرية منذ الليلة قد بطَّلته[1].

● ويذكر سعيد الباهلى عن واحدة منهن فيقول: دخلت الطواف ليلاً، فبينا أنا أطوف وإذا بامرأةٍ فى الحجر ملتزمة البيت قد علا نَشِيجها، فدنوت منها وهى تقول:

« يامن لا تراه العيون، ولا تخالطه الأوهام والظنون، ولا تغيره الحوادث ولا يَصفِه الواصفون، ياعالمٌ بكل مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وورق الشجر، وعدد ما أظلم عليه الليل، وأشرق عليه النهار، لا تُوارى منه سماءٌ سماءً، ولا أرضٌ أرضاً، ولا جبلٌ ما فى وعره، ولا بحرٌ ما فى قعره، أسألك أن تجعل خير عمرى آخره، وخير عملى خواتمه، وخير أيامى يومَ ألقاك، وخير ساعاتى مفارقة الأحياء من دار الفناءِ إلى دار البقاءِ التى تُكرم فيها من أحببت من أوليائك، وتُهين فيها من أبغضت من أعدائك.

أسألك إلهى عافيةً جامعة لخير الدنيا والآخرة مَنًّا مِنْكَ علىَّ، ياذا الجلال والإكرام.

●● ويقول ذو النون المصرى: خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام، فبينا أنا فى الطواف، إذا أنا بامرأة متعلقة بأستار الكعبة تبكى وتقول فى بكائها:

« كتمتُ بلائى من غيرك، وبُحتُ بسرِّى إليك، واشتغلت بك عمَّن سواك، عجبت لمن عرفك كيف يسلو عنك؟ ولمن ذاق حبَّك كيف يصبر عنك؟ ثم أقبلت على نفسها تقول:

أمهلك فما ارعويت، وستر عليك فما استحييت، وسلبك حلاوة المناجاة فما باليت.

---

(١) أى عطلته، وذهبت بوقته.

●●● ويقول الوليد بن مسلم رحمه الله : كانت امرأة من التابعين عابدة ، وكانت تقول : اللهم اقبل بما أدبر من قلبى ، وافتح ما أُقفل منه ، حتى تجعله هَشًّا مرتاحاً لذكرك .

●● ويقول أبو جعفر السائح رحمه الله : « بلغنا أن امرأة متعبدة كانت تصلى الضحى مائة ركعة كل يوم، وكانت تقرأ « قل هو الله أحد » بالنهار عشرة آلاف مرة، وكانت تصلى بالليل كثيراً، وكانت تقول لزوجها :

« قم ويحك إلى متى تنام ؟ قم ياغافل، إلى متى أنت فى غفلتك ؟ أقسمت عليك ألا تكسب معيشتك إلا من حلالٍ، أقسمت عليك ألا تدخل النار من أجلى، بِرّ أُمَّك، صِلْ رَحِمَك، لا تقطعهم، فيقطع الله بك » .

● ويقول الحسن بن جعفر أنه سمع أباه يقول : مررت بدارٍ فإذا أنا بعجوزٍ مكفوفة تبكى .

وتقول : « يا حليم تقرب الناس إليك بالأعمال يدعونك بها، فكيف أدعوك بالذنوب ولا عملَ أرضاه ؟ يارب هب لى من حلمك ما تكفينى به، وتُنجينى من عذابك » .

قال : فوقفت عليها فوعظتها ، وقلت : هل لك ولد ؟ قالت : لا .

قلت : من معك فى دارك ؟ قالت : سبحان الله ، معى من أُناجيه ، فهل علىَّ وحشة معه وهو أنيسى ؟!

قال : فأبكتنى .

●● ويروى بعضهم أن امرأةً كانت إذا قامت من الليل قالت : « اللهم إن إبليس عبدٌ من عبيدك ، ناصيته بيدك ، يرانى من حيث لا أراه ، وأنت تراه من حيث لا يراك .

اللهم إنك تقدر على أمره كله ، وهو لا يقدر من أمرك على شيء ، اللهم إنْ أرادنى بشرٍّ فأرِدْه ، وإن كادنى فكِدْه ، أدرأُ بك فى نحره ، وأعوذ بك من شره ، ثم بكت حتى كادت إحدى عينيها أن تذهب ، فعوتبت على ذلك فقالت :

« إن كانت عينى من عيون أهل الجنة فسيبدلنى بها ما أهو أحسن منها ، وإن كانت من عيون أهل النار فأبعدهما الله تعالى » .

عابدات فى سطور

العابـدة الماورديـة

عابدةٌ من عابدات البصرة ، مكثت زمناً طويلاً تصوم بالنهار ، وتقوم بالليل حتى جاوزت الثمانين سنة .

وقد توفيت فى سنة ٤٦٦ هـ، خرج فى جنازتها أكثر أهل البصرة .

أم محمد بنت على الواسطى

من ربات العبادة والصلاح والزهد والقناعة .

روت عن الشيخ ابن قدامة المقدسى، وقد توفيت سنة ٦٩٦ هـ، وقد قاربت التسعين .

مريـم البصـرية

عابدةٌ اشتهرت بقيام الليل كله ، وهى من عابدات البصرة .

وكانت إذا سمعت عن محبة الله ، والشوق إلى لقائه غلبها البكاء حتى لا تدرى ما تسمع .

مطيعـة العابـدة

عابدةٌ بصرية ، أخذت تقوم الليل ، وتصوم النهار ، وتكثر من البكاء ، حتى قيل : بكت أربعين عاماً فعوتبت على كثرة البكاء ، فقالت : لاأزال أبكيِ حتى أعلم على أى الحالين أنا عند الله .

منفوسة بنت أبى يزيد

عابدةٌ من عابدات المحاريب ، كانت لا تفتر عن البكاء من خشية الجبار ، فقيل لها فى ذلك .

فقالت : « والله لوددت أنى أبكى حتى تنقطع دموعى ، ثم أبكى دماً حتى لا تبقى جارحة من جسدى فيها دمٌ .

وكانت تقول : « من لم يستطع البكاء فليرحم الباكين ، فإن الباكى إنما يبكى لريبة بنفسه ، وبما جنى عليها ، وما هو صائر إليه » .

ميمونـة بنت الأقـرع

عابدةٌ زاهدةٌ ، سمعت الحديث من الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – .

قال المروزى : ذكرتُ لأحمد بن حنبل ميمونة بنت الأقرع ، فقلت له : إنها أرادت أن تبيع غزلها فقالت للغزال : إذا بعت هذا الغزل ، فقل : إنى ربما كنت صائمة ، فأرخى يدى فيه ، ثم ذهبت ورجعت فقالت : رد على الغزل أخاف أن لا تبين للغزال هذا .

آمنة بنت موسى الكاظم

عابدةٌ من عابدات المحاريب ، وهى من بنات الأشراف ، فجدها هو الكاظم ابن جعفر الصادق رحمه الله .

كان كل من اقترب من حجرتها بليلٍ يسمع قراءة القرآن لما كانت عليه من كثرة التهجد للرحمن .

أسماء بنت إبراهيم

عابدةٌ زاهدة، اشتهرت بالصلاح، وكانت تجلس للنساء تلقنهن القرآن، وتعلمهن العلم.

وكانت تجهد نفسها فيما يقربها إلى الله تعالى حتى ماتت –رحمها الله– ليلة الجمعة ٩ جمادى الأولى سنة ٧٠٨ هـ.

تحيـة النوبيـة

عابدةٌ من عابدات مصر، كانت تقف فى محرابها، وتناجى ربها.

وكانت تكثر من قولها : يامن يحبنى وأحبه.

فقيل لها : هبى أنك تحبين الله تعالى، فمن أين تعلمين أنه يحبك ؟

فقالت تحية العابدة رحمها الله : نعم، إننى كنت فى بلد النُّوبة، وأبواى كانا نصرانيين، وكانت أمى تحملنى إلى الكنيسة وتجىء بى عند الصليب، وتقول : قبّلى الصليب، فإذا هممت بذلك، أرى كفًّا تخرج فترد وجهى حتى لا أُقبّله.

فعلمتُ أن عنايته بى قديمة.

خديجة بنت فرج الزَّيْلعية

عابدةٌ، ومحدثة، ذات عبادة، وذكر، وتلاوة للقرآن.

ولدت تقريباً سنة ٨٠٥ هـ، وسمعت من الجمال الحنبلى، وأجازت لها عائشة بنت ابن عبدالهادى وآخرون.

من تلاميذها : الإمام السخاوى رحمه الله.

توفيت فى القرن التاسع الهجرى رحمها الله تعالى.

خديجة بنت القيم البغدادية

عابدةٌ يقال لها : أمة العزيز ، كانت قارئة للقرآن الكريم ، فقيهة ، وواعظة ، عقدت مجالس للوعظ والإرشاد ، وقرأ عليها خلقٌ تجويد قراءة القرآن وغيره ، وتوفيت سنة ٦٩٩ هـ.

خديجة بنت نصر الله الدمشقية

عابدةٌ من عابدات الشام ، ذات بر وإحسان .

وقفت بيتاً كانت ورثته عن أبيها على جامع الحنابلة بدمشق .

توفيت رحمها الله تعالى فى المحرم سنة ٩٤٦ هـ.

خديجة بنت هارون المغربية

عابدةٌ من عابدات المحاريب ، وكانت تقرأ القرآن الكريم بالروايات السبع . وحفظت الشاطبية ، وحجت خمس عشرة حجة .

توفيت فى ليلة الاثنين خامس المحرم سنة ٦٩٥ هـ.

الخلدية بنت جعفر الخلدى

عابدةٌ من عابدات بغداد ، أخذت كثرة العبادة عن أبيها الزاهد الخلدى ، فكانت تقوم فى محرابها ، تناجى ربها ، وتسأله مغفرته حتى لقيت ربها على أحسن حالٍ .

رابعة المسمعية

عابدةٌ ذات فصاحة وبيان، عُرفت بشدة التعبد فى محرابها.

قيل لها: هل عملت عملاً قط ترين أنه يتقبل منك؟
فقالت: إن كان شيء فمخافتى أن يرد علىَّ عملى.

ولما بلى منزلها، ووهى، قيل لها: لو كلمت السلطان فى إصلاحه؟
فقالت: والله، ما أسأل الدنيا ممن يملكها، فكيف أسألها ممن لا يملكها.

وهكذا عاشت شريفة، وماتت عفيفة، رحمها الله تعالى.

راهبة الموصلية

عابدةٌ من عابدات الموصل، ومن شدة عبادتها قيل لها: الراهبة.

عاشت تناجى ربها فى محرابها، وتبكى، وتستغفر لذنوبها.

سئلت عن القلب السليم، فقالت: القلب السليم الذى يلقى الله، وليس فى قلبه شيء غير الله.

ريطة بنت عبد الله

عابدة من العابدات الزاهدات، صحبت العلماء تعلماً عنهم، وحفظت الكثير من كلامهم، وصلت حتى أُقعدت.

وكان الناس يقصدونها، يطلبون الدعاء منها حتى توفيت فى المحرم سنة ٣٣٦ هـ.

زينب بنت أحمد الرفاعى

عابدةٌ، زاهدةٌ، ورعةٌ، حفظت القرآن، وعملت به، وتفقهت بالدين.

سمعت الحديث من خالها أبى البدر الأنصارى، ومن جدها أبى بكر الواسطى.

قنعت باليسير من الطعام والشراب، وتتلمذ عليها الشيخ عمر الكازرونى.
وتوفيت سنة ٦٣٠ هـ.

زينب بنت أبى البركات البغدادية

عابدةٌ، وواعظةٌ من واعظات القرن السادس الهجرى، وكانت تدرس الفقه للنساء فى رباط البغدادية.

زينب بنت تمام الدمشقية

عابدةٌ من العابدات ببغداد، روت الأحاديث عن داود بن ملاعب وغيره.
توفيت فى صفر سنة ٦٨١ هـ.

زينب بنت عباس البغدادى

عابدةٌ من عابدات العراق، وكانت فقيهة فاضلة، ذات دين وصلاح.

أم هانــــىء

من العابدات، عُرفت بالزهد والصلاح، وكثرة قراءة القرآن.

يقال: توفيت سنة ٢٧٥ هـ.

عائشة بنت أحمد بن عبدالله

عابدةٌ من عابدات مراكش ، ذات اجتهاد فى الصيام ، وقيام الليل .

كان أهل بلدتها يطلبون منها أن تدعو لهم ، وذلك لما عرفوا عنها من صدق حالها مع ربها تبارك وتعالى .

أخذت الحديث عن الشيخ أبى محمد عبدالله الغزوانى ، وغيره .

ماتت فى سنة ٩٦٩ هـ، ودفنت خارج سبتة من بلاد المغرب .

عائشة بنت أبى عاصم

عابدةٌ عُرفت بالتقوى والصلاح ، توفيت بعد عام ٧٠٠ هـ.

عائشة بنت عبدالرحيم الرفاعى

من ربات العبادة والصلاح، والزهد، والخشوع، ماتت سنة ٦٣٥ هـ.

عائشة بنت عيسى المقدسى

عابدةٌ، ومحدثة، ذات صلاح وورع، روت عن جدها ابن قدامة، وابن راجح .

من تلاميذها : الإمام الذهبى .

توفيت سنة ٦٩٧ هـ.

عائشة بنت الفضل الصوفى

عابدةٌ من عابدات مرو ، ذات عفة، وكثرة صلاة، وعُرفت بكثرة التحديث .

من تلاميذها : الإمام السمعانى .

توفيت سنة ٥٤٥ هـ.

عائشة بنت محمد بن على البغدادى

عابدة من عابدات بغداد، عُرفت بالوعظ والإرشاد.

كانت تجلس تعظ النساء وتبكى، وتُبكى من تستمع لها.

توفيت سنة ٦٤١ هـ.

عبـدة الداريـة

عابدةٌ من عابدات الشام، اشتهرت بكثرة التهجد للرحمن.

من كلماتها الطيبة : « الفقراء كلهم أموات إلا من أحياه الله تعالى بعز القناعة والرضى ».

عثامة بنت بلال بن أبى الدرداء

عابدةٌ من عابدات الشام، كُف بصرها فى آخر عمرها.

ودخل عليها ابنها يوماً، وقد صلى، ولم تعلم هى بمجيىء وقت الصلاة، فقالت له : أصليتم أى بنى ؟ قال : نعم.

فقالت : عثامة مالك لاهية ، حلت بدارك داهية ، ابكى الصلاة لوقتها إن كنت يوماً باكية.

وابكى القرآن إذا تلى إن كنت يوماً باكية تتليه بتفكرٍ ، ودموع عينيك جارية ، فاليوم لا تتليه إلا وعندك تالية.

وتمضى عثامة إلى لقاء ربها ، وتظل سيرتها باقية.

فرحم الله عثامة ، وأدخلها فسيح جناته.

أم سطل

عابدةٌ تقيةٌ، عُرفت بالزهد والتقوى، وحكى عنها فى شدة الاجتهاد فى الطاعات أموراً كثيرة.

غنضكة العابدة

عابدةٌ من عابدات البصرة، كانت تصلى عامة الليل، ثم تقول:

أعوذ بالله من ملائكة غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

فإذا قضت صلاتها قالت: هذا الجهد منى، وعليك التكلان.

فاطمة بنت أحمد الرفاعى

عابدةٌ قانتةٌ، تالية للقرآن آناء الليل، وأطراف النهار.

نقل عنها إبراهيم بن عمر الفاروقى أنها أنشدت فى مجلس درسها بيتاً حفظته أخته خديجة الفاروقية، ورواه عنها، وهو:

نموت على التقوى ونحشر فى غدٍ ... على خالص الإيمان والبر والتقوى

فاطمة بنت الحسن بن على الدقاق

عابدةٌ جليلةٌ، ومحدثةٌ عالية الإسناد.

روت عن أبى نعيم الاسفراييني، وأبى عبدالرحمن السلمى.

ومن تلاميذه: الإمام عبدالغافر بن إسماعيل الفارسى، وغيره.

توفيت فى ذى القعدة سنة ٤٨٠ هـ عن ستين سنة.

فاطمة بنت الحسين الكندى

عابدةٌ من العابدات الصالحات ، عُرفت بالزهد فى الدنيا ، والإقبال على الآخرة .

كان يومها بين قيام الليل ، وصيام النهار ، وتلاوة القرآن ، حتى لقيت العزيز الغفار ، وهى فى خير حال .

فاطمة بنت عباس البغدادية

عابدةٌ فاضلةٌ ، وفقيهةٌ زاهدةٌ ، وواعظةٌ .

كانت حريصة على نفع غيرها ، فكانت تعلم بنات جنسها ، فانتفع بها كثيرٌ من نساء مصر ودمشق .

واتصفت بالإخلاص والخشية من ربها ، فكان لكلامها وقعٌ فى النفوس .

أثنى عليها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

توفيت بمصر فى ذى الحجة سنة ٧١٤ هـ .

فاطمة بنت المثنى

عابدةٌ من الصالحات ، عُرفت بالزهد والقناعة .

توفيت فى القرن السابع الهجرى .

فاطمة بنت مجلى

من العابدات الزاهدات ، كانت تصوم النهار ، وتقوم الليل ، وتكثر من الصدقات ، وصلة الأرحام .

فخرية بنت عثمان

عابدةٌ من عابدات القرن السابع الهجرى.

تركت لذائذ الدنيا، وقنعت بالكفاف والقناعة.

فيروز بنت المظفر

عابدةٌ، تقيةٌ، محدثةٌ، فقيهةٌ، لها إجازات عالية.

ألفت كتاباً فى الحديث أسمته كتاب «الأربعين» رواية الصالحات عن الصالحين.

توفيت فى سنة ٧٤٠ هـ.



خاتمــة

وأخيراً ...

إذا كان لديك أى سؤال ، أو استفسارٍ عما قد قدمته لكِ ، فما عليكِ إلا إرسال ذلك فى رسالة على عنوان دار الصحابة للتراث ، وستجدين الإجابة على الفورِ ، وهذا هو العنوان :

دار الصحابة للتراث بطنطا .

أول شارع المديرية – بجوار بنك قناة السويس .

١١ شارع محمد فريد .

وإلى اللقاء مع كتابٍ جديدٍ فى سلسلة « زاد المرأة المسلمة » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أبو مريم / مجدى فتحى السيد

قائمة المراجع

١ – أعلام النساء – عمر كحالة – مؤسسة الرسالة .

٢ – تاريخ بغداد – الخطيب البغدادى – دار الكتب العلمية .

٣ – حلية الأولياء – أبو نعيم الأصفهانى – دار الكتب العلمية .

٤ – شذرات الذهب – لابن العماد الحنبلى – دار الفكر .

٥ – صفة الصفوة – ابن الجوزى – دار المعرفة .

٦ – الطبقات الكبرى – ابن سعد – دار صادر .



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ٥٩٧٢ / ١٩٩٠

مطابع الوفاء - المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت : ٣٤١٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠
تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN